

حفل في نادي القصة

فاز الحكيم الاديب محمود بلعيد بجائزة نادي القصة لسنة 1989 عن مجموعته القصصية «القط جوهري» وفي الصفحات الموالية لقاء صحفي أجراه معه المهندس الاديب أحمد ممو.

وقد أقام نادي القصة أمسية تكريمية لكل من القصاصين أحمد ممو ومحمود بلعيد : الاول عن إحراره شهادة دكتوراه الدولة في هندسة المياه والثاني عن فوزه بجائزة القصة وذلك يوم 27 - 11 - 1990 بنادي القصة - الوردية - تونس.

وقد أبى الاديب أحمد ممو إلا أن يكرم صديقه محمود بلعيد بهذا اللقاء والحوار عن تجربة محمود بلعيد القصصية.

ونمهد لكل ذلك بمقال للاستاذ محمد صالح الجابري عن الأمسية التكريمية كتبه في جريدة الصدى بعد استئذانه في ذلك.

أمسية تكريمية

(نادي القصة) الاسبوع الفارط عضوين من
 أعضائه هما الاديبان المثبران على الانتاج الادبي
 والحضور على الساحة الثقافية ، والعالمان
 الفاضلان المبرزان في ميدان عملهما العلمي ميداني الطب
 والهندسة ، الدكتور محمود بلعيد ، والدكتور أحمد ممو.

كان التكريم بمناسبة حصول الاول على الجائزة الادبية
 السنوية لهذا النادي وحصول الثاني على شهادة الدكتوراه
 في مجال الهندسة المائية.

ولقد كانت تلك المناسبة قادتني والصديق صالح الحاجة
 الى النادي الذي تباعد عني وتباعدت عنه سنوات مديدة.
 وان ماتزال جدران حافلة بذكريات زاخرة احتفظ بها عنه
 وعن المحيط الاجتماعي للنادي أيام بدأ ترددي عليه وأنا معلم
 بهذه الناحية في بداية الستينات.

وأسعدني أنني وجدت جمعا كريما من الادباء من مختلف
 الاعمار والاجيال يتقدم حفلهم الاستاذان الجليلان محمد
 العروسي المطوي والطاهر قيقة يجسمان بحضورهما رمز

تواصل الاجيال والدأب والمثابرة وحب الادب والثقافة ووصل
اللحمة التي تكاد تقطع الان أوصالها وتبتر أواصرها في ظل
العقوق السائد حاليا والبغضاء المستشرية في نفوس أبناء
هذا الجيل الذي لا يعترف بفضل لسابق ولا بأصول أو جذور
له.

المحتفى بهما غنيان عن التعريف في محيطنا الادبي
وبين أسرة الثقافة على العموم وأسرة نادي القصة على وجه
الخصوص فمحمود بلعيد صاحب تجربة فريدة جمعت بين
الادب والطب وواءمت بينهما بعدل وقسطاس. وقد أعطى
للادب بقدر ما أعطى للطب عطاء ثرا لم ينضب له معين أو
يعتريه فتور وهو بالنسبة اليينا من الامثال النادرة في
الوفاء للعلاقة وفي الشغف بالادب وأهله. كانت معرفتي به
في الستينات بعد تأسيس (نادي القصة) ببضع سنوات اثر
عودته من دراسته بالخارج ، وتعمقت هذه الصلة وتوطدت
أركانها في حضرة صديقنا المرحوم البشير خريف الذي كان
يجمعنا اليه ويحرص على احاطتنا به ، ولم شملنا سواء
ببيته أو ببعض مطاعم العاصمة كمطعم بغداد ، ثم مطعم
الشرق في أخريات أيامه. وقد عرفنا في محمود بلعيد
طبيباً أريحياً على استعداد دائم لخلع اضراسنا وتقديم العلاج
المجاني لكل من يطلبه أو يشعر بأنه لا يقدر على الدفع ..
وكان على استعداد أحياناً للتضحية بالمهنة ليسمعك أو
تسمعه أدباً أو تجالسه للحوار والنقاش ، ولم يؤثر له على

رأي يغضب أو كلمة نابية أو خلاف حاقد مع أحد فهو أديب معنى وأخلاقاً. وما يمكن أن يقال عن الخلق الأدبي لمحمود بلعيد ينسحب. انسحاباً كاملاً على صديقنا الفاضل أحمد ممو الذي كان أقبل على نادي القصة وأواخر الستينات فيما أذكر. مشايخاً لجماعة القصة الحديثة مساييراً لطروحاتهم ونظرياتهم غير أنه كان يفوقهم ويتميز عليهم بمرونة الانصات لآراء الآخرين ، وإمكانية الاقتناع بغيره ، والمواظبة المستمرة لكن التصورات الأدبية والنظر الى تجارب الآخرين بحميمية.

ولعله بفضل ذلك استطاع أن يحرز على ثقة الجميع وصداقاتهم ويوازن بين توجهه العلمي ومواهبه الأدبية، وينجح في المستويين الإداري والعائلي ويقنع نفسه بتجاوز الواقع الى تحقيق الطموح العلمي باعتبار أن الانشغال بالأدب قد يؤدي الى اوخم العواقب اذا لم يكن معززا بأداة تحصن الكاتب من التكسب به واستعماله في غير ما يجب أن يستعمل له.

ذكرني في هذا الاحتفال الذي كان مشمولاً كالعادة ببركات شيخ الجماعة وراعي الأدب والأدباء في تونس محمد العروسي المطوي - أطال الله في عمره ومتعه بالصحة والعافية - ذكرني بأيام (نادي القصة) في نشأته الأولى وفي أيام تأسيسه في بداية الستينات عندما كان رواده قبل سبع

وعشرين سنة ثلة قليلة رائدهم حب الادب وغايتهم إرساء تقاليد أفضى الى تأسيس هذا النادي ، وقد عقدناه في القاعة الكبرى في يوم شتائي ممطر حضره من الاخوان ممن تحضرني اسماؤهم الآن ، العروسي المطوي ، والبشير خريف وعبد الواحد براهيم ، ومحمد منصور ، وأحمد الهرقام ، وعز الدين المدني ، ويحيى محمد ، وكاتب هذه السطور ، وكيف أفضى هذا الاجتماع الى تكوين هيئة برئاسة المطوي وأسندت لي كتابتها العامة. وقد سجل هذا الاجتماع الاول في سجل كان يضم جميع جلسات النادي.

ونظرا لضياح هذا السجل في السنوات الاخيرة فقد تكون قصة تأسيس (نادي القصة) من بين ما يمكن ان يعاد روايته ما دام بعض أعضائه على قيد الحياة وأنا واحد من مؤسسيه ، لان المعلومات التي تطوع بعض الاخوان بروايتها في مناسبات مختلفة عن النادي وتاريخه أصابها الكثير من التحريف ... وهي بحاجة الى تصويب ومراجعة في فرصة أخرى إن شاء الله.

ولا أريد أن أختتم هذه التحية للاخوين الكريمين المحتفى بهما دون أن اثير الاهتمام الى وجوب تكريمهما وغيرهما من الجهات الساهرة على تكريم الادباء لأنهما أخرى من غيرهما بالجوائز التي يحصل عليها البعض جزافا.

محمد صالح الجابري



لقاء مع محمود بلعيد



س : من هو محمود بلعيد

ج : أنا من مواليد 1938 بمدينة تونس العاصمة وبحي من أحيائها العتيقة ، حي باب الخضراء وبالضبط بنهج حمام الرميبي أين يقوم اليوم حمام الرميبي المشهور. ولدت في حي شعبي جميل رائع أذكر منه التلاقي مع الأطفال والصبيان أمثالي ، كما أذكر أيضا اللعب والمرح في تلك الأزقة والأنهج والحدارات. كانت تلك هي المدرسة الأولى وأجمل مدرسة ولا أعتقد أنه هناك مدرسة أجمل من تلك حيث كان الأصدقاء والخلان. زاولت تعليمي الابتدائي في مدرسة ابتدائية واقعة بنهج البيضا أو باب سويقة مدة سبع سنوات أو ثمانية لا أذكر بالضبط ثم انتقلت إلى المعهد العلوي سنة 1953 ، ودامت مرحلة التعليم الثانوي سبع سنوات انتهت بتحصيلي على شهادة البكالوريا رياضيات. وهنا يجب أن أتحدث قليلا عن مرحلة المراهقة وهي مرحلة لا أتحدث عنها في كتاباتي إلا في قصتين أو ثلاثة. وهي المرحلة التي كانت بين الثالثة عشر والثامنة عشر من عمري وقد امتازت بوجود الأصدقاء فيها. ثم انتقلت بعد ذلك الى

باريس للدراسة. وظللت هناك سبع سنوات في كلية الطب ومدرسة طب الاسنان. وتخرجت من هناك سنة 1967 كطبيب أسنان مختص في جراحة الأسنان. وقد باشرت مهنتي كطبيب أسنان من سنة 1967 إلى 1971 بإحدى مدن فرنسا. ثم عدت نهائيا سنة 1971.

س : لكن متى بدأت تجربتك الأدبية ؟

ج : ابتدأت تجربتي الأدبية وأنا مازلت تلميذا بالمعهد العلوي. كنت في تلك الفترة من أخص الأصدقاء لعز الدين المدني. وكنا نزاول تعلمنا في نفس الصف بالسنة الثالثة أو الرابعة. وكان عز الدين شغوفا الى أبعد الحدود بالأدب فكانت الكتب تظهر بين يديه ، وكنا نراها عنده ونقرؤها معه ويحدثنا هو عن أشهر الكتاب سواء في فرنسا أو في أمريكا. كنت صديق عز الدين ألامه ويلازمني ، نخرج معا من المعهد ونذهب إلى منزله أو إلى منزلنا من حين لآخر ، أو إلى الحدائق العمومية أو إلى السينما أو إلى المقاهي. واهتم عز الدين بالأدب. وكان همه الأساسي ، فكتب أول ما كتب قصة طريفة جميلة عنوانها « البوخا والعينان الزرقوان » وقد نشرها في ذلك الحين في إحدى الجرائد الأسبوعية. ولا أستطيع أن أعبر عن مدى إحساس عز الدين وسعادتي عندما شاهدنا القصة منشورة في تلك الجريدة. وكنت أنا بدوري شغوفا بالأدب أطلعه حيثما وجدت فكانت

تلك المرحلة مرحلة مطالعة. قضيت منها سنوات عديدة وأنا أطلع الأدب الفرنسي : بلزاك ، زولا ، استندال ... وكذلك الأدب المشرقي فمن توفيق الحكيم إلى طه حسين ومن محمود تيمور إلى يوسف السباعي وجرحي زيدان ... كنت أعتقد في تلك المرحلة أن من يريد أن ينتمي للأدب فعليه قبل كل شيء أن يطلع ما استطاع من الكتب القديمة والحديثة ؛ فكانت المرحلة مرحلة مطالعة واستيعاب وهضم ما أستطيع هضمه من الكتب. وفي تلك المرحلة كان كتاب الجيب موفورا، وزهيدا الثمن فكنت أقتضي منه ما شاء الله. وكانت مكتبة نهج زرقون توفر كل ذلك. هي مكتبة صغيرة منسقة. وقد كان المرحوم مصطفى خريف يأوي إليها من حين لآخر فينزع الجبة ويأخذ كتاب الاغاني مثلا أو نفح الطيب، يبقى يطلع مدة نصف ساعة أو ساعة ثم يدون بعض الأشعار أو الكلمات ويعيد الكتاب إلى مكانه. ويعود إلى جيبته يرتديها من جديد. ويغادر المكتبة. فقد كانت تلك المرحلة قبل الستينات إلى أن أنهيت تعليمي الثانوي مرحلة مطالعة. ولكني كنت من حين لآخر أكتب قصائد بالفرنسية فأقرأها على عز الدين المدني وبعض الأصدقاء. ولكني لم أتقدم بها إلى أية مجلة أو جريدة للنشر. وقد كتبت بعد ذلك بعض القصص غريبة الأطوار والحوار والشخص فكنت أرتاح ولا أرتاح لتلك القصص. ولما تبين لي أنها ليست ذات قيمة تؤهلها للنشر فضلت أن أبقئها عندي. ثم فارقت بعد ذلك

تونس إلى باريس قصد متابعة دراستي. وذات ليلة وكنت في سهرة ما وكنت سعيدا الى أبعد حد وابتنتني ساعة الاشواق فكتبت أول جملة تبين لي أنها في مكانها. ثم كتبت الجملة الثانية. ثم كتبت المقطع الأول وأمنت بتلك الكتابة وقلت : هكذا يجب أن تكون الكتابة حسب وجهة نظري. وأستطيع الآن بكل شجاعة أن أتقدم بها للنشر كعمل أدبي.

س : هناك من يعتبر قصتك «هنة»
المنشورة بمجلة «قصص» (العدد
الثامن سنة 1968) منمرجا في تجربة
كتابة القصة القصيرة بتونس في ذلك
الحين ما هو رأيك ؟

ج : هل يمكن أن تعتبر قصة « هند » منمرجا في مجال
تجديد تقنيات كتابة القصة القصيرة في تونس ؟ والله كما
أقول ... هي من ناحية التركيب والسرد بالعودة إلى الماضي
مع حكاية تلك العجوز يمكن أن تكون تجديدا. ولكنني في
حقيقة الأمر ككاتب لا أبحث وأحاول فقط أن أجد الوفاق بين
الموضوع وكيفية القص ولا أولى كثيرا من الاهتمام لآراء
النقاد ولا أدخل في مثل هذه التحليلات ...

س : ما هو مفهومك للقصة القصيرة ؟

ج : أنا في حقيقة الأمر أعيش القصة القصيرة وأتملكها

وتتملكني ، فان وجد بيني وبينها وثام إلى أبعد حد كانت القصة. فليس الموضوع موضوع مفهوم من المفاهيم فأنا أعيش القصة وهي تأتي إلي وتحضرني وتلح علي لكي أكتبها فأكتبها عند ذلك. لا أعتقد أنني أستطيع أن أعمل رأيا في ما يتعلق بما بيني وبين القصة إذ أحس أنني هي وهي أنا وأنا أعيشها تماما.

س : لكنك تكتبها بتقنيات خاصة
بمحمود بلعيد ؟ فهل أنت واع
بالجوانب التقنية لكتابة القصة التي
تقدمها للجمهور ؟

ج : أنا أرتاح لتقنية ما، وما إن أرتاح لتقنية قصة من القصص تتخمر عندي حتى تحضرني دفعة واحدة. فأنا إن ارتحت للجملة الأولى وجدت - كما قلت ذلك أنفا - وثاما بيني وبين شخوص القصة وكيفية كتابتها كانت القصة. وذلك يكون منذ الجملة الأولى إذ فيها الموسيقى الخاصة بالقصة فان وجدتها جاءت القصة أي إنني أستطيع أن أبرزها إلى الوجود. فذلك النغم أو تلك الموسيقى التي أتوصل اليها وتبدو لي موائمة للقصة ولشخصها هي بالنسبة لي كذلك اللحن الذي يبحث عنه الموسيقار فان وجدت اللحن المناسب للموضوع وجدت القصة.

س : تمتاز مجموعتك القصصية الاولى
 « أصدقاء في المدينة » (الدار العربية
 للكتاب ، 1977) بالكثير من حياة
 الأحياء الشعبية لمدينة تونس ؟ هل
 إن من وراء ذلك غاية تسجيلية
 لفترات من واقع هذه الأحياء بدا
 يضمحل اليوم أم أن وراء ذلك هاجسا
 آخر ؟

ج : هو هاجس فالكاتب الذي ينسى طفولته ويبتعد عنها
 يكون قد هرم وشاخ وابتعد عن الحياة. ذلك ما أعتقده ؛
 فمنبع الحياة الطفولة. وأعتقد أن طفولة كل كاتب تتوقد
 داخله وتهز فيه المشاعر فإن خمد ذلك الوهج الداخلي يكون
 الكاتب قد شاخ واتجه نحو الخمول. لذلك أعتبر مرحلة
 الطفولة - كما قلت ذلك في بداية كلامي - من أروع ما في
 حياة الإنسان. ويبدو لي أنه على الكاتب أن لا يبتعد أو يغفل
 عنها حتى نهاية حياته ، وهو مطالب بأن يكتب عن طفولته ؛
 فتلك المرحلة تبني فيها شخصيته وتتكون ومن هنا كانت
 قيمتها الكبرى في تكون ملامح شخصيته كأديب.

س : أغلب شخصيات مجموعتك
 القصصية الاولى « أصدقاء في المدينة
 » هي شخصيات مفردة - أي شخصية

واحدة تنبني عليها الاحداث - كما
هو الامر في « هندية » و « الدرفيل
« و « قلبه لا يدق » ... الخ .. ماذا
يعني بالنسبة اليك اقتران الحدث
القصصي بشخصية واحدة وتركيز
الاحداث عليها في مجال تقنية كتابة
القصة القصيرة ؟

ج : أستطيع أن أقول : من الضروري أن يتوفر في
القصة بطل ما أو أبطال ، ذلك أن البطل له قصة وله حياة
كاملة وله في مرحلة ما من حياته تلك مشكل ما هو ما
أتحدث عنه في القصة. ولكني لا أتجه الى ذلك البطل اخذ
ذاته لكي أتحدث عنه من بداية القصة الى نهايتها ثم اتوقف
عند ذلك السلام. فهذا البطل يعيش في مكان ما ، حي أو دار
، وله أصدقاء وحوله عالم كامل. لذلك يجب أن لا يغفل
الكاتب عن تلك العوالم التي يتحرك فيها البطل. ومن هنا
كان للقصة شخصيات يجب أن تكون لها أرضيتها مهما
اختلفت في الموطن . وتلك هي خاصية القصص في مختلف
بلدان العالم فلكل قصة أرضية ومنبت وروح خاصة بها.
ولهذا فالبطل يحمل القصة في ذاته وبه ومن خلاله تكون
القصة الذي هو بالنسبة اليها بمثابة الدليل أو العمود
الفقاري وكل ما حوله من أشخاص وأشياء يكونون عالمه
الذي يعيش فيه. ومن الضروري هنا أن ينتبه الكاتب الى

هذه الجوانب ويبرزها في كتاباته لكي تتميز كل قصة بخصيبتها وأرضيتها ونكهتها إن صح التعبير.

س : نلاحظ في مجموعتك القصصية الثانية « عندما تدق الطبول » (الشركة التونسية لفنون الرسم ، 1989) والفائزة بجائزة مسابقة « أبو القاسم الشابي للقصة » سنة 1988 سعينا لتطويل القصة أكثر مما ظهر ذلك في المجموعة الاولى. كيف تفسر ذلك ؟

ج : صحيح قد تكون القصة بدأت تطول عندي ولكن أستطيع أن أقول : إن قصة من قصصي الاولى وهي « الدرفيل » قد جاءت بعد قصتين بثلاث أو أربع صفحات في خمسة عشر صفحة. فالاتجاه نحو الطول في القصة عندي كان منذ البداية وقد يكون أوضح في المجموعة الثانية.

س : في مجموعتك الثالثة « القط جواهر » الفائزة بجائزة مسابقة نادي القصة للقصة القصيرة لسنة 1989 يبرز لديك مفهوم « القصة القصيرة الطويلة » (Short story) حسب المفهوم الانكليزي اي القصة القصيرة التي

تتجاوز الثلاثين صفحة ، هل ذلك
تأكيد لمنحى التطويل في كتابة
القصة القصيرة ؟

ج : صحيح إن هذه المجموعة قد امتازت بالقصص
القصيرة الطويلة اذ في هذه المجموعة التي جاءت في ما
يقارب 250 صفحة أربع قصص قصيرة فقط جاءت في
خمسين وخمسة وأربعين ومائة وسبعين صفحة. وتلك القصة
التي تتجاوز المائة صفحة لها مقومات القصة القصيرة إذ
هي مرتبطة بحدث واحد كما فعل ذلك جيمس جويس في
قصته « يولسيوس » (Ulysse) وهي الواردة في حوالي
700 صفحة ومع ذلك فهي قصة قصيرة طويلة أي إن
التقنيات والحدث فيها هي تلك التي تكون في قصة قصيرة
ولكن جويس استطاع أن يأتي بقصة طويلة معتمدا شكل
القصة القصيرة.

المهم عند كتابة القصة هو أن يحدث نوع من التمازج
(Osmese) بين الأقصوصة والقصة القصيرة (La Nouvelle)
والرواية (Le Roman).

س : كيف يمكن في هذه الحالة أن
نفرق بين القصة القصيرة الطويلة
والرواية ؟

ج : هذا متعارف فالرواية تحكي عن حياة وتنقلات البطل بتفاصيل كثيرة والحياة فيها ليست مرتبطة بحدث واحد الأحداث فيها متعددة وطويلة وتقلباتها كثيرة أما القصة القصيرة فمركزة على حدث بعينه وأحيانا شخصية واحدة.

س : يبدو أنك أول من كتب القصة القصيرة الطويلة في الأدب التونسي؟

ج : قد يكون ذلك. وأشعر في المدة الأخيرة بميل أكبر لكتابة الرواية إذ أحس أنني أبتعد تدريجيا عن كتابة القصة القصيرة واقترب أكثر من الرواية رغم سعيمي للبقاء أمينا للقصة القصيرة.

س : ما رأيك في وضع النشر الأدبي

في تونس ؟

ج : موضوع النشر مشكل قائم ومستمر ونحن نأمل دوما كأدباء أن تهتم دور النشر أكثر بالأدب التونسي. وهذا نداء أتوجه به الى هذه المؤسسات وأعتقد أنها متفهمة لمشاكل الأديب . كما أن الأديب متفهم لدورها ومعوقاتنا إذ لا يخفى ما للناحية المادية من أهمية في مجال النشر إذ لا تقوم دور النشر إلا بإمكانات مادية كبيرة. وعندما يقدم الناشر كتابا للسوق فهو يود أن يباع في أقل وقت ممكن وبقدر ما كان مشكل ترويج الكتاب مشكل نشر فهو أيضا

مشكل توزيع وكذلك مشكل بيع. وهذا يرتبط بالطاقة الشرائية للقارئ التونسي وهو في النهاية مشكل اقتصادي بما يطرحه ايضا من مشكل سعر الورق أو اليد العاملة. هذا بالاضافة إلى الجانب الثقافي لمشكل الكتاب إذا أردنا أن نعتبره غذاء ثقافيا فكل هذه الجوانب مترابطة متصلة ، وحبذا لو تضافرت كل العزائم الصادقة للتخفيف من حدة الجوانب الاقتصادية على الأقل.

س : هل تعتقد أن الأدب يمكن أن يوفر لقمة العيش لصاحبه في بلدنا هذا ؟

ج : ما وفر الأدب أبدا لقمة العيش لصاحبه في تونس. والوضع ليس نفسه في البلدان الاشتراكية أو في الغرب مثلا وهي أقرب لمفهومنا لدور الأديب في المجتمع ؛ ففي امريكا مثلا يوفر الأدب لصاحبه أكثر من لقمة العيش وعندما يكون الكتاب من أجود المبيعات (Best - Seller) فهو يجلب لصاحبه الشهرة وتتعدد طبعاته الملايين مما يمكن صاحبه من العيش الرغد . وفي بلدان غربية أخرى غير امريكا يستطيع الأديب أن يعيش ليس بطبعات كتبه فقط بل أيضا بما يساهم به في المجلات والصحف من كتابات منتظمة. أما عندنا فالأدب ليس أكثر من حدث فكري في حياة صاخبة لا يسد أي باب من أبواب الحاجة المادية.

س : هل تعتبر أن حضور النص الأدبي التونسي في الكتاب المدرسي كاف في الوقت الراهن؟

ج : النسبة طيبة والاساتذة والمتفقدون حريصون على حضور النص الأدبي التونسي في الكتاب المدرسي. وأعرف من خلال اتصالي ببعض منهم أنهم مهتمون بالأدب التونسي وهم معتزون به ويقترضون بعض النصوص عندما تنهيا الفرصة. فالاهتمام موجود والاجتهاد في هذا المجال موجود أيضا. ونجد اليوم في الكتب المدرسية الأخيرة نصيبا محترما من النصوص التونسية وهذا يرضي الأديب إذ عن طريق الكتاب المدرسي يمكن للانسان التونسي أن يعرف الأدب التونسي والبعض من أدبائه.

س : ما رأيك في المسابقات والجوائز الأدبية ؟ هل هي دافع للكتابة أم اعتراف بقيمة الكاتب ؟ أم أنها مجرد مظهر من مظاهر الحياة الثقافية ؟

ج : قد أكون من أدرى الناس بالمسابقات الأدبية إذ اني حصلت على جائزتين في مجال القصة القصيرة. وأعتقد أن المسابقات الأدبية تشجع الكاتب على الكتابة فقد يحدث أن يكتب الكاتب ويصدر كتابه ولكن لا حديث عنه. أما المسابقة الأدبية فهي تحرض الكاتب على إتمام عمله إذ هو مرتبط بتاريخ معين وقد كنت في المناسبتين الانفتي الذكر مدفوعا على إتمام مجموعة القصص التي أكتبها لكي أنتهي منها قبل أجل غلق المسابقة . لذلك فأنا أعتقد أن المسابقات الأدبية بما وراءها من جوائز تنشط الأدباء وتدفعهم إلى الانتهاء من تأليف بعض أعمالهم . في البداية كنت أعتقد أنني إذا ما ارتبطت في يوم ما بمسابقة فلن أتمكن من إنهاء

العمل الأدبي في الابان. ولكن عندما جربت ذلك وجدتهني ملزما بتاريخ معين. وهو ما دفعني إلى إتمام ما قررت تقديمه خاصة وأنا حريص على الالتزام بالمواعيد. وأعتقد أنه لو لم تكن شروط مسابقة نادي القصة لما توصلت الى إنهاء مجموعة « القط جوهر » ولخرجت في شكل قصص متفرقة قد لا أتوصل الى كتابتها كلها. أما في ما يتعلق بمجموعتي القصصية الثانية « عندما تدق الطبول » فلم أكن قد كتبت قبل الاعلان عن مسابقة أبي القاسم الشابي إلا البعض من قصصها ، ولم أكن أفكر بعد في جمعها في كتاب . ولي الآن العديد من القصص القصيرة التي لم تجمع بعد في كتاب فعملية التجميع قد تحرض عليها المسابقة الأدبية وكذلك الكتابة ايضاً.

س : كثيراً ما اقترنت القصة القصيرة في تونس بالصحافة. هل تعتقد انه يمكن - في الوقت الراهن - أن تكون الصحافة السيارة خير عملية توصيل بين الكاتب والقارئ ؟

ج : لا بأس ان تكون هناك صحافة أدبية لا بأس من ذلك ؛ فالقصة التي تكتب تطرح مسألتين : مسألة الايصال ومسألة القراءة. ولا يغيب عن أحد أن للصحافة والجرائد اليومية السيارة كالصباح والحرية قراء يعدون بالآلاف ويحدث أحياناً ان يشترك العديد من القراء في نفس الجريدة. ومن جانب آخر فالادب وجد لكي يقرأ من أكبر عدد

ممكن من القراء. ومن هنا تطرح المسألة الاولى الخاصة بتوصيل الأدب الى القارئ. وأعتقد أن أول مرحلة لتوصيل القصة القصيرة في بلدان العالم الثالث يمكن أن تكون مرحلة الجرائد والصحف. فأنا كثيرا ما حرصت الاصدقاء على تقديم قصصهم القصيرة للجرائد إذ عن طريقها تكون في متناول القراء من طبرقة إلى رمادة. أما المرحلة الثانية فتتمثل في جمع هذه القصص ونشرها في كتاب. وتوفر المرحلتين يضمن رواج أكبر للقصة ، ونفعا أشمل للقارئ.

س : ماذا يمكن أن ننتظر في القريب
العاجل من كتابات محمود بلعيد ؟

ج : لي - والحمد لله - مجموعة لا بأس بها من القصص القصيرة التي تمكنتني من نشر مجموعتين وهما جاهزتان للنشر الآن. وذلك زيادة على مجموعة « القط جواهر ». وسأسعى لنشر هذه الأخيرة قبل غيرها. ثم سألتفت بعد ذلك الى المجموعتين الأخريين. كما أنني بصدد إنهاء مجموعة قصصية أخرى. هذا بالاضافة إلى روايتين إحداها جاهزة بعد والأخرى في مرحلة الكتابة. والرواية الأولى يتجاوز عدد صفحاتها الأربعمائة وهي بعنوان « بختو ». كذلك عندي نص مسرحية أرجو أن أتمكن من عرضه قريبا على أحد رجال المسرح. فالانتاج كما ترى موجود والنشر حكاية أخرى.

أجرى الحديث أحمد معمر

جائزة أبي القاسم الشابي للسنة 1991

تعلن لجنة جائزة أبو القاسم الشابي من فتح باب الترشح لجائزتها لسنة 1991.
وقد خصت "جائزة أبو القاسم الشابي" لسنة 1991 للغة العربية.
الترشح مفتوح لأصحاب المجموعات القصصية المخطوطة التي لم تنشر بعد وكذلك لأصحاب المجموعات القصصية المطبوعة التي نشرت في سنة 1991 وفي طبعاتها الأولى.

جائزة أبو القاسم الشابي
لسنة 1991

المقدار المالي للجائزة خمسة آلاف (5.000) دينار تونسي.
إذا كان النص المحرز على الجائزة كتاباً مطبوعاً طُغيت الجائزة كلها إلى الكاتيب وإذا كان النص المحرز على الجائزة مخطوطاً لم ينشر قُسمت الجائزة نصفين بـ 2500 دينار إلى الكاتيب بعد الإعلان عن الجائزة والنصف الثاني إلى الفنان وخمسة آلاف (2500) دينار بعد نشر الكتاب ونزوله في المتاحف.

مقدار الجائزة:

- (1) - أن يكون النص المرشح - سواء أكان مخطوطاً أم مطبوعاً - محزراً باللغة العربية.
- (2) - بالنسبة إلى النصوص المنشورة فلا يقبل منها إلا ما طبع في سنة 1991 طبعة أولى.
- (3) - أن تقدم المجموعات القصصية المرشحة في خمسة نظائير على أن لا يقل حجم المجموعة القصصية المرشحة عن مائة وخمسين (120) صفحة مطبوعة كائناً أو مخطوطة.
- وتكون النسخ المخطوطة مرقونة (المقاس 31x21 سمعدل 25 سطراً في الصفحة الواحدة).
- (4) - أن يرشح العمل من قبل مؤلفه شخصياً.
- (5) - ترسل النصوص المرشحة بالبريد المسجل إلى عنوان:

شروط الترشح للجائزة:

لجنة جائزة أبو القاسم الشابي

البنك التونسي

3 شارع فرنسكا - 1000 تونس

- (6) - أغلج أجل لقبول الترجمات يوم 31 ديسمبر 1991 باعتقاد ختم البريد.
- (7) - المؤلفات المرشحة لا تعاد إلى أصحابها.

البنك التونسي

محمود بلعيد

- عندما يموء القطّ جوهراً أو لا يموء -

.....كتب ، جرائد ، مجلات مكوّمة على الطاولة في
غرفة الجلوس وغرفة النوم وفي المطبخ وبيت
الراحة وصناديق محشوة كتباً في غرف الحديقة
المهملة ، وتحت بعض الأشجار القريبة من غرف الحديقة ،
وصناديق من الورق المقوى مقعورة ، وكتب خارجة منها ،
مندفعة ؛ وكتب مبعثرة هنا وهناك في كل مكان من الدار
والحديقة وهذا اليوم يركز سيد أحمد صندوقاً
جديداً غريباً في نوعه وشكله وحجمه ولونه أمام أنفي ،
وسط قاعة الجلوس ، ويقف جامداً ، مقوس الظهر ، ماسكاً
حزام سرواله ، ، أقترّب بحذر ، وأدور حول هذا الصندوق
الجديد ، ، وأتشممه من كل جوانبه ونواحيه ثم أضعف فوقه ،
وأطل عليه مستطعلاً ، وأنظر إليه من تحت ... غريب أمره !!
لا أسمع داخله خترشة ولا خرخشة. كنت ظننته مصيدة
داخلها فأر ، أراد سيد أحمد أن يضحك عندما ينحني ويفتح
لي بابها وينطلق منها الفأر فاراً وأهجم وانقض عليه ؟؟ لا ،
لا حركة داخله ولا رائحة فأر. أعود أتشمم من جديد مغتافاً

وقد انقلب شعر جسدي وانطلق ذيلي في الفضاء يخبط !! لا
 لا رائحة ولا طعم !! حيلة من حيله الجديدة ميو
 ميو أموء محتجا ميو ميو ، أموء شاتما سيد
 أحمد ثم استولى عليّ الخبيث ورفعني إليه وأنا
 أموء غاضبا : ميو ميو ميو . اتركني ، اتركني ، خل
 سبيلي . واشتغل بصندوقك هذا الغريب ، أنا لا أطيقك ولا
 احتمل أن تستبقيني بين ذراعيك ، وتقرع أذني بقهقهتها
 تلك المنكرة وتملأ لي أنفي بأنفاسك المعكرة الكريهة
 يضعني بقوة فوق بعض كتبه الممزقة الوسخة. وأنا أتلوى
 بين يديه ، وشعر رأسه يعمل كرت كرت عند تحركه محدثا
 دويا تهتز له أذناي ويقشعر له جسمي وبدأ اللعين
 يطوق عنقي بقلادة غليظة خشنة وأنا رهين يديه . ميو ،
 ميو ، ميو أموء واضطرب محاولا الانفلات غارزا مخالبي
 في يديه وذراعيه أخيرا قفزت دفعة واحدة من فوق
 كتبه ، فتبعثر بعضها على الطاولة ، وسقط بعضها على
 الأرض ، وتشتت أوراقه وانطلقت مهتاجا مفتاظا
 أحرك عنقي في كل الجهات ، وأقفز بشدة متجها إلى المطبخ
 مندفاعا من فجوة الباب إلى الحديقة أنطاً على رجلي وأقفز
 ثم أخذت أحتك بشجر الحديقة لعل القلادة تنفك أو
 أستطيع إخراج رأسي منها صرت أشعر بألم حاد
 في رقبتني كان اللعين ، الشيطان الرجيم قد أحكم
 غلقها ولم يترك لي فجوة أستطيع أن أستل رأسي منها ،،،

..... فوق كل ذلك ، خرج يتابعني بنظرة أمام باب المطبخ وأنا أتلوى راكضا في كامل أرجاء الحديقة ، محركا رأسي في كل الجهات. وقلادته الغليظة الفظيعة متشبثة برقبتني تكاد تسد لي أنفاسي يبتسم فرحا منتشيا أنا أكرهه ، أكرهه كأشد ما يكون الكره ، كرت ، كرت ، كرت ، كرت شعر رأسه أسمعته عن بعد رائحته أشتمها قبل أن يدخل الدار وحتى قبل أن يقترب منها أشتم رائحته الكريهة فأنفجر ويشتد بغضه لي كأنه خلق ليعذبني وينتقم مني لذنب قديم أذنبته أو أذنبه أحد أجدادي كرت ، كرت ، كرت شرير والله شرير ، القلادة التي شدها حول رقبتني لا أستطيع خلعها الا بخلع عنقي أو قطع رأسي ثم صار الصندوق يخترش ويخشخش محدثا أصواتا غريبة ، ما سمعتها قط ثم صار سيد أحمد يركع ويصلي كانت القوارير مبعثرة في كامل الحديقة قوارير لا يحصى عددها قام إليها صباحا وجمعها كلها ثم أخرجها من المنزل لكي لا يشاهدها مرة ثانية يركع ويصلي في الليل وفي النهار وحالما يسمع أصوات الابواق في مآذن المساجد المجاورة أدور وأتنقل في غرف الدار والقلادة في عنقي واتنقل حول أشجار الحديقة ثم أعود الى الصندوق ، لقد شغلني وحيرني لا احتمل ولا أطيق كل ما يخروش ويخرخش ، أتشممه من جديد وأعود

أقلبه من كل جوانبه ونواحيه وكأنني أشاهده لأول مرة
 بين جولة وأخرى أتحكك عليه ، لا أمل إلا
 حلّ لغزه بودي أن أجد شيئاً داخله لأهناً ويطمئن
 فضولي ولو خنفساء عادية حقيرة ولو
 ولو حشرة من الحشرات التي اعتقدت العثور عليها
 أثناء تجوالي في الحديقة وفوق السطوح وازداد
 الصندوق خرخشة وترنيما أرفع ذيلي احتقاراً له
 وبعدد مبالاة أمر بجانبه مَيُّو ، مَيُّو
 وأبتعد .

صرت لا أهتم به رغم خرخشاته وخروشاتة ورنينه
 وطنينه في بعض الأحيان ولا أعيره اهتماماً كما لا
 أعير اهتماماً للقلادة المطوقة رقبتني أعتبر كل ذلك
 خرقة من خرجاته الجديدة وفلّة من فلتاته كما
 أعتبر الصندوق « صندوق ما يطير جوع » سيد
 أحمد وعائلة سيد أحمد يقولون دائماً « كعك ما يطير جوع »
 هم دائماً يتحدثون عن الأكل والشراب والفطور
 والغداء والعشاء وعن جلب الكعك لفطور الصباح
 غريب عجيب أمرهم الحليب الذي تصبه لي إحدى
 بنات سيد أحمد أو الحاجة في الصباح في الصحن في
 الحديقة أجده دائماً حامض الطعم والرائحة لا أقترّب منه ولا
 ألعق منه ولو مرة مرة واحدة .. مَيُّو
 مَيُّو ابتعد دائماً تاركا لهم اللبن

أو الحليب الذي يسمونه لبنا وابتعد متنقلا في الحديقة
..... القط يعول دائما على نفسه والا مات جوعا
يناديني من يناديني :

- بش ، بش ، بش

هيا بش ، بش ، بش.

ويقدم لي من يقدم لي منهم بقايا طعام رائحته تشتم
عن بعد - بش ، بش ، بش كول هيا كول

لا أستطيع حتى شم ما وضع في الصحن أترك
ما وضع في الصحن المشؤوم وأبتعدكنت احيانا
اصعد الى السدة بدون دوي أصل اليها وبتخف
كامل أستمع الى بعض فئرانها يحتوشون
ويختوشون وأشتم رائحتهم الشهية فتتحرك
أمعائي ويسيل لعابي وببطء شديد أنتقل واحدة
واحدة جوهر ! خطوة خطوة ...! وأشاهدهم عن بعد
..... أشاهدهم يقفزون فأكاد أقفز مندفعاً
وانتبه الى ذيلي المتحرك فأسرع لأصاقه بالأرض
وأتبld ، وأتحفز ففئران السدة لهم طعم ما بعده طعم تهتز له
امعائي وتعوي كلها داخل بطني أهمهم تولد وتفرخ
وتدلل وانا من يوم لآخر هب أصعد إليهم
وأخشتركم وحيد بو طميرة عند عمك جوهر

أحيانا يفتضح أمري رغم حذري وانتباهي وأسمعهم
يتصايحون الشياطين الصفار ويتنادون عن بعد
راكضين :

- عم زعطوط طلع ، عم زعطوط طلع ، اهربوا ، اهربوا ،
عم زعطوط فوق السدة !

وتعود كل الفئران فارة تنطع كالغزلان فوق سيقانها
الوردية الشهية وتدخل مفاورها بسرعة البرق وتغلق
امهاتها من ورائها الأبواب صائحة حانقة :

- « الله يهلكك يا زعطوط الشوم ، تطلع ديمه تخوف
الصغيرات ، لا تحشم ولا تجعر كانوا يلعبوا فارحين زايطين
رعبتهم .. » أنزل من السدة مسرعا خائبا وشتائمهم
تتبعني بعدما تحلب ريتي وطاش عقلي وأنا
اشاهدهم يتراقصون ، لاعنا سيد أحمد صابا عليه جام حنقي
، وغضبي بعد يومين أو حتى يوم واحد
أوب اشترب قفزتين وقفزة وعمك جوهر فوق
السدة من جديد وأوب وراء زير الطماطم
المشرحة وأوب وراء زير الحمصة ، بخفة
لا تعادلها خفة وأوب ، وأوب وراء زير
الزيتون المفلح أو زير من أزيار الطرشي ، وأوب وأوب بين
الصناديق المملوءة بفربجهم الله يفربج سيد أحمد ما أكثر
فربجه في كل مكان فربجه وفربجهم مكس ومعرم ، من

حسن الحظ الفئران تحب الفربج ، تجد حيث تلعب وترتع
 أبقى لابدا منكمشا متخفيا لا يتحرك لي ذيل ولا
 أذن ولا أترك القلادة المشؤومة تحتك بفربجهم
 ما عدا شاربي يتحركان ولا أستطيع أن أتحكم فيهما
 من فرط الشهوة وعيناي تتعبان تحرك الفئران
 ورقصاتهم و ويبتعد واحد منهم ضاحكا
 قافزا هاربا ، وأخوه أو ابن عمه يجري وراءه
 و « اشترك ، اختنش تركم .

زيو ، زيو

الفار بين مخالبي :

- يا عم زعطوط ، يا عم زعطوط يعيشك

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

- أشكون قالك الي اسمي عم زعطوط ؟

- أمي ، عم زعطوط ، أمي

- تقول لي عم زعطوط وتحب نسيبك

- أمي عم زعطوط ، تقول لي ، تقولي

رد ، رد بالك من عم ، عم زعطوط.

- وأنت هاك عند عمك زعطوط ، ما انتبهتش وما

رديتش بالك.

اختنش ، خروش خرخوش

ساعة ساعة أرقص وحيدا قدامي ، وهو يقول له رأسه
افلت ويحب يفلت ويلحج :

- يا عم زعطوط ، يا عم زعطوط ما عادش نعاود
صنعتي !!

- لا ، لا نحبك تعاودها.

- لا ، لا والله عم زعطوط نشعف ونتوب.

- زيد ، زيد قول عم زعطوط ، أنا أكره اسم عم زعطوط
وأنت تقول وتعاود.

- والله خال زعطوط المرة هذه ونشفق ونقعد ديمه في
الدار !!

- لا ، لا بالعكس نحبك تخرج تلعب على روحك وتجري.

- هاك ، هاك تشدني ، تنقز علي وتشدني.

- إيه كيف تحصل ونشذك نشذك ، كيف نشذك
نتهشش عليك وناكلك.

- هذه المرة سامحني ، هذه المرة الأولى سامحني
نشعف ونتوب.

- المرة الاولى !! وشكارة الخروب وأنت وسطها شائخ
نسيتها !!

يبهت الفأر ، يفكر ، يحرك أنفه ولا ينطق بكلمة

- وشكارة اللوز تعرفها ، تتذكرها وإلا نسيتها.

وأنت داخلها خرخش خرخشششش باش تخرجني من
عقلي وتجنني !!؟

يندهش الفأر ، يكف عن تحريك أنفه لا يستطيع ان
يتوسل بكلمة

..... وأتركه ، أتركه أحيانا عندما أكون زاهي البال
يبتعد يعمل لي رقصة أو قفزة من قفزات وكل مرة
أوب يحب يفلت واشطر بش :
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

- فين ، فين يا زين الزين.

ويقول لي لاهثا ، ممتقع اللون :

- قلت لي امشي عم زعطوط !

- لبعيد لا ، لا ، نحبك تقعد تلعب معاي ، قدام عيني.

- هاني ، هاني نلعب معاك وبعد تخليني
نروح على روعي.

فأتكلف الغضب وأوقد عيني وأحرك شواربي قائلا
أمرا :

- اسكت ، يزي من الحس

يتلون وجهه ألوانا . قائلا بصوت خافت :

- هاني ، هاني ساكت ، ساكت

- اعرف تحب تعملها العملة متاعك ، أنا نحب نلعب
معاك وانت هوب تحب تفلت

خروش قروش خروش مشمشمش
ومرة كاد يفلت فأر من فئران السدة ، انطلقت وأخرجته من
رجله من بين القربج بشق الأنفس ، لو جذبته من ذيله لبقني
ذيله في كفي وعمل لي طر « طر » طر «
<http://Archiv-beta.Sakhr.it.com>

الآن انتهت لعبة الفئران وحكاية الفئران ومسألة
الصعود والنزول الى السدة آخر مرة طلعت أتفقد
كادت روعي تطلع من أنفي ومن شدة الألم قلبت زير
الزيتون المملح بقيت أسبوعا كاملا مريضا
الفئران كلهم ماتوا كانت عندي جلبة عائلة اعتني
بها وأسهر عليها وأطلع اليها من حين لآخر أتفقد
وأختار وحيدا انتهى الآن الحلم الجميل ، أعوذ بالله
من سيد أحمد الخبيث النجس الشرير ومن شر الوسواس

الخناس الذي يوسوس في صدره وفي صدر الحاجة التي لم تحج ولم أشاهدها مرة غابت عن الدار أكثر من يومين أو ثلاثة ؛ ويسموننا دائما الحاجة ومن لا يناديها حاجة لا تجيبه وتغضب وتقوم القيامة وينقلب لونها وتصيح وتنقلب هيئتها وشكلها ومشيتها وصوتها وتخلق خصومات مدة أيام.

..... طلعت مع ابنتيها خدوجة وحسيبة ووضعن تلك الغبرة الصفراء الشديدة الصفرة والتي لا تبقي ولا تذر، في كل جهة من جهات السدة وحتى داخل صناديق الثربج الله يثربجهم ويحرم الحج على الحاجة والجنة على سيد أحمد التي يتشهاها وفي كل صلاة يزعج لي أذني وهو منكب في طلبها مكثت أسبوعا كاملا طريح غرفة الصابون في قاع الحديقة أسمعهم يتحدثون وأنا بين نومين أو بين المين أتلوى.

- القطوس مريض مظهرش

- اهوكه ملوح في بيت الصابون

- باش يموت ، أش عطاء.

وتقول حبيبة :

- كلى عقرب والا صوت خيل.

أش كون يعرف عليه.

وتقول الحاجة بصوتها الكريه :

- يستاهل ، معبودك ربي والشجر والهملة ،
والسطوحات والهيجة والدبر وهذي المرة جات برأسه ما
احلاها فيه يستاهل ملاعين ، والله ملاعين ، سيد
أحمد والحاجة التي لم تحج والبنات كلهم ملاعين ما عدا
الطفل توفيق..... الفئران كلها أبادوها بالعقاقير
..... وأنا أتلوى في قعر الحديقة ،، كدت اتشلفح فوق
مصب الزبلة وسيد أحمد يركع ويصلي والحاجة
تركع وتصلي وتحب ان تذهب الى الجنة يوم الاخرة
حسابات وعقابات الحيوانات كلها الذي يفعل منا
الشر ياكل طريحة والسلام وعقاب البشر أهل
الشر ، حكاية أخرى ، حسبما سمعت من أبواق المساجد وأنا
فوق السطوح ، نار فوق نار وفوق النار نار تكوي وتحرق
وتشوي أكثر من نار نهار العيد ، يتشوشط المذنب منهم كما
يتشوشط رأس كبش العيد وبعد ذلك أوب
..... يزيد يتشوشط من جديد وزيد من جديد مرة أخرى
ويزيد مرة أخرى ومرة أخرى ، مرات ومرات ، أضحك في
قاع الحديقة مريض وتضحك ، كثر لهم يضحك وكثر الضحك
يبري سيد أحمد بالكتب والمجلات أوب في جهنم
وهو يصيح ويعيط الحاجة تبلبز في المطبخ أوب

..... في جهنم ، يقذفونها فتعمل فرشخ ، والله بطيخة ،
 بطيخة اشتدت عليها حرارة الصيف أوب البطيخة في قاع
 جهنم اضحك ، واضحك يا جوهر مريض تهتري
 وتزيد تضحك ، وكثر المرض يضحك ، كثر الضحك يرمي
 بسيد احمد والبطيخة في جهنم ويسموني
 الزعطوط وأبغض الأسماء عندي هو اسم الزعطوط ، حسيبة
 وخديجة جرادتان هوب في نار جهنم ،
 وتوفيق الطفل الاكبر ، لا ، والله لا ، صاحبي ويبقى صاحبي
 أوب في الجنة انعس وزيد انعس
 واتلّس ، جوهر نظف شعرك واتلّس ، قريب
 تقوم على رجلك وتتجبد وتخرج تتمايل
 وتتهنكل وذيلك يتحرك يمينا وشمالا قريب قريب
 قريب يا حاج جوهر ، شمتوا الملاعين ، قالوا « باش
 يموت الزعطوط » زعطوط ما احلاها فيه « يستاهل » حتى
 هو الهيجة والدبر « والبول فوق الزرابي والحصر يستاهل
 شمتوا ، شمتوا ، شمتوا ونسوا أن للقطوس أرواحا سبعا ،
 سبعا بأكملها نسي الملاعين ابناء الشياطين ونسوا
 ان لهم روحا واحدة فقط كعبة وحدة « اضحك ، زيد اضحك
 وزيد اضحك ، زعطوط أه جوهر ، جوهر حتى انا صرت اقول
 زعطوط الله يزعططهم تزعطيطا كل اسم كل كلمة الا وسيد
 احمد لها بالمرصاد يقلبها ويشقلبها ، الله يقلبه ويشقلبه
 ويشنقه من شوافر عينيه كما تتمنى له الحاجة ذلك في

غيابه وعندما يخرج من الدار ثائرا ، صائحا ، ناقما ساخطا يخرج دائما على هذه الحالة في أغلب الايام ،
وتشتمه الحاجة في أغلب الايام ويخرج احيانا في
الصباح بدون فطور و احيانا اخرى ، عندما يتقدم النهار
ويتوسط يخرج بدون غداء اضحك جوهر اضحك وسيد أحمد
مشنوق من شوافر عينيه يتدلدل ويتأرجح ويخبط برجليه
وانا من تحت اعمل له :

- ميو ، ميو ميو ، ميو ميو ميو

كاد يقتلني الشيطان اللعين بعدما أباد كل فنراني
المساكين بتلك الغبرة الصفراء التي ملأت خياشمي
فكاد يبيدني اما قلادته التي وضعها لي فاني
نسيتها ، نسيتها تماما .
<http://Archivebeta.Sakhi.com>

* * *

الفارق كبير بين سي الطيب أو بوسيد احمد وسيد
أحمد ، سي الطيب كان رجلا طيبا حقا ، وكان حاجا ، وكلنت
الحاجة حلومة زوجته حاجة حقا ، يفعل الخير وتفعل الخير ،
السائل يقول : « يا متاع الله في الزنقة ... تسرع الحاجة رغم
ثقلها وتترجرج وتملأ له صحننا مترجرجا من عشائها
يسبح سي الطيب ويصلي والحاجة حلومة تسبح وتصلي كلما
انتهت من شؤون المنزل في الصباح وفي العشية
وامي ورده بجانب ركبتها منذ أن حجت الحاجة ، لا تفارقها
أبدا خوفا من أن تعود الحاجة إلى الحج وتتركها مرة ثانية

وحدها في المنزل وتنام في الليل فوق جلد خروف
بجانب ساق السرير ، وتجعل تخرف.

تخرف للحاجة والحاجة تسمع ممتدة على سريرها وإذا
اشتد البرد في فصل في الفصل الذي أنسى دائما
اسمه ، تصعد وردة الى الفراش عند رجلي الحاجة
وتنام وهي تعمل فرفر فر تحدثهما عن أهلها
وجدودها وتنام دافئة هائلة لا أحد يركلها أو
يشقلبها من فوق الفراش وسي الطيب عندما يعود
من السوق ويدخل بالقفة والقراطيس إلى المطبخ ينادي أول
من ينادي :

- بش بش بش هيا مرنو ، مرنو مرنو

وتهب إليه أمي وردة التي كان دائما يسميها مرنو ،
من جانب ركبة الحاجة التي كانت دائما تسميها وردة ، تهب
إليه بخفة وهي تمعوق فرحة جذلة :

- ميو ، ميو ميو ، ميو

ويقول لها الحاج الطيب مبتسما منتشيا يتدحج في
جبته البيضاء.

- خوزي سهمك من الأول ولو كان حوت من قرطاسه ،
ثم يفتح القراطيس وينشغل بالنظر في السمك برهة ، ثم

يقول لها بعدما اختار لها سمكة وانتشلها من قرطاس :

- هذا نصيبك يا مرنو من السمك ولا تنسى نصيبك من الفئران تأكل وردة سمكة كلما عاد سي الطيب من السوق ويكاد يذهب الى السوق كل يومين ، وهو كما قالت لي أمي ، مخماخ من المخماخين الكبار ألوان الاطعمة تعرفه ويعرفها وتأخذ وردة بخاطره وساعة ساعة قفزة وقفزتين وهي فوق السدة ،،، وشرك تقبض على فأر من الفئران الموجودة ما شاء الله فوق السدة ثم تنزل ويشاهدها الحاج وهي تمر عمدا أمامه أو غير بعيد عنه، فيفرح ويبتهج ويتدحرج ويهتز ضاحكا فيهتز بطنه معه والفأر في قم وردة وذيله يتدلى ، ويقول لها :

- أه تريحنا من الفئران يا مرنو ، صيادة كيفك موش موجودة في الدنيا كلها وتنزل الى الداموس بالفأر فتأكله نادرا وتتركه هنالك في غالب الأحيان عندما يأتي الحاج الطيب بالسمك تكف الحاجة حلومة عن الدعاء والتسبيح ، وتشد نفسها ، وتشد عزائمها مقررة النهوض الى المطبخ قائلة :

- باسم الله يا شافي يا عافي

وتنهض بصعوبة وتتنقل وسط الدار مترعرعة متجهة الى المطبخ تتبعها وردة ، هي تكاد تلتصق بها تموء مترنمة

في موائها رافعة ذيلها :

- مرنو ، مرنو
 ARCHIVE

وتجيبها الحاجة متربجة :

- اصبر ، اصبر هاني باش نعطيك.

- مرنو ، مرنو، مرنو ، مرنو .

- اصبر يا وردة يا وردة.

وتحرك وردة ذيلها المرتفع أكثر في الفضاء وتزداد
 التصاقا بها متمسحة بفوطتها :

- مرنو ، مرنو، مرنو ، مرنو
<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

.....تجلس الحاجة على كرسي قصير وسط المطبخ
 وامامها شقالة السمك ، ثم تشمر عن ذراعيها البيضاوين
 المكتنزتين تشنك تشنك تشنك تشرع في تنظيف
 السمك تشنك تشنك ووردة تتمسح عليها
 وتحوم حولها.

- مرنو ، مرنو، مرنو
 ARCHIVE

..... تلقي اليها الحاجة بسمكة صغيرة اولى ،،

..... وتشنك تشنك ثم تلقي اليها برأس سمكة

ثانية تشنك تشنك كانت وردة دائما تحكي لي ، تقص علي كيف كان الحاج الطيب يناديها ، وكيف كانت الحاجة حلومة تحبها وتدللها وتحادثها وهي بجانبها لا تفارق ركبته من الصباح الى العشية وانا ، انا وسيد احمد ، وسيد احمد لاهم له ولا شغل الا التفكير والتحرير والتدوين والتشطيب ثم تمزيق بعض القراطيس ، وشعره يعمل كرت كرت أكثر فأكثر عندما يعمن في التفكير ويفرك عينيه ويجرش رأسه ويهيج هائجه كرت كرت وسيد احمد لا يذهب الى السوق الا نادرا . ولا يشري السمك الا فيما ندر وقل ، واكتشف يوما لحم الديك الرومي وليته لم يكتشفه وليته لم يذهب ذلك اليوم الى السوق ولم يشاهد وأتى بقرطاس في أول الامر ويالها من تجربة ... نال بها رضا الحاجة لهذا اللحم الجديد وقلته كما يلقي السمك وشوته كما يشوي السمك وانتشرت رائحته في كل أنحاء الدار وفي الحديقة وخارج الدار ويالها من رائحة

وصار سيد أحمد لا يشتري . كلما ذهب الى السوق ، الا لحم الديك الرومي ويسمونه الدندون وصار لسوء حظي يخرج الى السوق اكثر من قبل ، ويعود بقفة القضية وفوقها قرطاس الدندون

وصار كل يوم الكسكسي بالدندون او المقرونة بالدندون حتى صرت أفر من المطبخ راكضا كلما

اشتغلت الحاجة صالحة داخله ، وعجيج الدخان وانتشرت رائحة الدندون وافر من المطبخ كلما أقبل سيد أحمد بقراطيسه وارتمي في قاع الحديقة أو أصعد الى حدائق الجيران ومع ذلك فكل يوم يخرجون لي بقايا طعامهم مع عظام الدندون ويعرمون الكل في ذلك الصحن المشؤوم ومرت أيام وتلتها أيام وأيام حتى صارت الحاجة تسير وتتمايل كدجاجة الدندون ، عندما تغضب ترفع صوتها وتخاصم وتعمل اثناء الخصام قوقوقو وسيد احمد من ناحيته يتمايل في مشيته بخيلاء ، احمر الوجه ، منتفخ الاوداج وعندما يغضب يزداد وجهه احمرارا ويزعق كما تزعق ديكة الدندون وافتقدت رائحة السمك من الدار كلها أشهر وأشهر ثم عادت ولم أدر كيف. وصرت أشتم أحيانا رائحة السمك عندما يدخل سيد أحمد من السوق فلا أكاد أصدق أنفي ويهيج هائجي وترقص امعائي وتضطرب رغما عني ويسرع الملاعين بوضع السمك في الثلاجة ويلقون بالقرطاس الفارغة العبقة برائحة السمك في أرجاء الحديقة فإزداد احتياجا وأكاد أخرج من عقلي وامضيت ليلة كاملة أصارع الثلاجة وتصارعني بدون هجعة أخضها وأرجها واعالجها من كل جوانبها ونواحيها ومن فوق ومن تحت اخمش واخربش

اجذب وأطرس وعند طلوع الفجر يئست
يئست فالثلاجة سخطة من سخطات سيد احمد
..... ملاعين والله ملاعين وشياطين وأبناء
شياطين ما عدا سي الطيب ، فالثلاجة غير موجودة
ايام سي الطيب ووردة لم تحدثني ابدا عن الثلاجة
ولا عن لحم الدندون وكان السمك المقلي أيام سي
الطيب ، يمضي الليل كله تحت قصعة وسط الدار
ولا تحاول وردة أبدا اخذ ما يوجد تحت القصعة
ودخل يوما قط من قطط الشارع ، درغوم من الدراغيم ،
جلبته رائحة السمك ، وجذبتة وحارب القصعة ولم
يهجع حتى دخل تحتها وانكبت عليه وقع ولم يدر
أنه وقع وأمضى ليلته كلها يمعوق ويعتز
ووردة تضحك ودموعها تسيل من شدة الضحك
والقصعة تتحرك والدرغوم يصيح ويعوي ، يهتز
وينتفض داخلها حتى استيقظ سي الطيب
وأقبل عليه ضاحكا يهتز ضحكا ويتدحرج بطنه ، قائلا :

- القصعة بطمها وطميمها استطعت أن ترفعها وتدخل
تحتها ولم تستطع أن تخرج منها حصلت كما يحصل
الفأر في المصيدة اعتقد انك فهمت واستعبرت ولن تعود
وتحصل مرة اخرى تحت قصعة في حياتك .

..... أما أنا فكم اردت الدخول في الثلاجة فلم أفعل

عاجتها ليلة بأكملها فلم تنفرج حتى عن ثقب تخرج
 الحاجة صالحة سمكها من الثلاجة ايام وقد انقلب لونه
 وتغيرت رائحته وهي لا تدري وتقليه
 وتمصص الرؤوس كلها عند الاكل فصار سيد أحمد يمصص
 رؤوس السمك مثلها وخديجة وحسيبة تمصصان
 رؤوس السمك مثلها ما عدا توفيق فانه يلقي الي
 برأس سمكة من حين لآخر بين صياح امه وأبيه ثم
 بعد ذلك تقوم خديجة او حسيبة وحن بقايا الاسماك في
 يدها قائلة :

- هيا يا زعطوط ، هيا ، هيا زعطوط بش ،
 بش ، بش وتصيب خديجة او حسيبة الفضلات في
 الصحن المعهود ترك تك تك قرب باب
 المطبخ تحت شجر الليمون عادة واحيانا عوض بقايا
 السمك تضع لي في صحن ، بُرْبُ قُلْبُ خبزاً منفخاً او
 كسكسي بائت او مقرونة بالدندون او رشة قارصة او
 حمصة مسكجة ، فلب ، تنزل دفعة واحدة فوق الصحن
 كصخرة فيهتز الصحن المسكين ويرتج ويتشفع لخالقه ومولاه
 ، قد مر على تلك الحمصة دهر وهي رهينة الثلاجة حتى
 نسوها

- هيا ، هيا زعطوط ، زعطوط ايجه ، ايجه فطورك
 فطورك او عشاك ، عشاك

..... اترك لهم المقرونة والكسكسي ببقايا الدندون
والخبز المنفخ وفوقه مرق وعظام الدندون أو الرشته التي
اكل عليها الدهر وشرب وأنا جوعان
وزعطوط زعطوط هيا فطورك فطورك وأمد عنقي
وأوقف أذني وانتبه الى غناء العصافير في
الحديقة واتتبع دويهم وهرجهم متخفيا
وهوب اتسلق شجرة من الأشجار بخفة وحذر
واختفي بين الاوراق تزيوو يقترب واحد
منها وهو لا يدري يحرك رأسه وجناحيه يزقزق ولا
يدري ماذا ينتظره ويعمل تزييو وهو في غفلة لا يدري ،
وهوب اشتكم العصفور في فم عمك جوهر وهو لا
يدري والعصفور في الفم يبقى في الفم لا لعب ولا
تفدليك ، لا اتركه أبدا يقوم بجولة إلا داخل بطني
اللعب مع العصافير صعب ، يطير عنك فطورك أو عشاك في
رمشة عين وانزل بخفة وفرح والعصفور في الفم
ساكنا هاجعا والشجرة تخاصم صائحة تقول لك ديمة يا
جوهر كيف تطلع ساعد وكيف تهبط ساعد تخرج مخالبك
كيف الامواس وهي هَيَا هَيَا هَيَا تغرزها كلها في لحمي ودمي
هدره فيك يا جوهر والله هدره فيك

لا أجيبها ، أتركها تصبح محتجة ولا أجيبها ، لا
أجيب الاشجار ابدا عندما تخاصم وتصبح كلما سعدت وكلما
نزلت لو أجبتها وأنا نازل هوب لا نفلت

العصفور ابدا ، ابدا تريد ان أضع قفازا
 في كل رجل قبل الصعود ثم أخلع القفافيز وأصطاد
 ثم أعيد القفافيز الى ارجلي عندما انتهي ، وأنزل وحدة
 وحدة « ديو » .

عندما اسقط على رأسي سوف تعتز اللعينة ضاحكة
 راقصة وأوراقها تصفق : ديو « ديو »
 ثم ثم كرش كروش اصعد الى السطح لا
 لا لا أريد أن أسمع كس ، كس كس ولا أريد
 ان اسمع أمرا ولا نهيا ولا أريد ان التفت الى نداء
 ولا انزل من السطح الا عندما أريد النزول وابقى
 احيانا فوق السطح بعد ان امرك عصفورا واضحك
 عندما اسمع احدهم يصيح :

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

- زعطوط ، زعطوط اهبط يهبط ربعك وانت ديمة
 هامل فوق السطوحات

اكهب واطل من فوق بعين واحدة واذن واحدة وأجيل
 بهدوء وكأني أحييهم :

- ميو ، ميو ، يهبط ربعكم ، انصفكم كلكم يا
 جماعة الدندونات المتمايلات ، ميو ، ميو أتركهم
 يصيحون واتجول فوق السطوح واتمدد كما
 أشاء وكما اشتهي أتشمس في فصل الربيع وفي

ذلك الفصل الذي انسى دائما اسمه ابقى عند ظل بعض
 الجدران استقبل النسيم ، متمددا متنوما شبعان البطن
 ريان فانا سلطان السطوح ، والقطوس
 المقطوس لا أحد يحيرني ، ولا أحد يزعجني تاركا
 أتعس مخاليق الله تحت الشقوق ووراء الجدران يتصايحون
 ويتشاجرون ويرغون في مغاورهم في العلالي اتمتع
 بنفسى بعد الصيد فوق الاشجار ، هاني البال سعيدا
 في ارغد عيش مستلقيا مستريحا في سبات ، ونوم
 هادئ ، صياحهم وهرجهم وهيجانهم اسمعه
 بعيدا كأنهم كلهم في قعر بئر والبئر مغلقة عندما
 أغلق أذني فلا أسمع شيئا شيئا
 شيئا ذبابة أو نموسة خبيثة تداعب أنفي اذبها
 بخفي ثم أقوم بها وأقفز وراءها ، اللعينة وبعد
 ساعة أو ساعتين أو ثلاثة أو حتى أربعة عندما
 يقول لي رأسي اخترش تش دم : أنزل من فوق
 السطح على أرجلي الأربعة بخفة وشطارة وخبرة
 ومهارة ميو ميو أمر قدام صحن الخبز المنفخ
 وقد ازداد انتفاخا أو أمام المقرونة وقد ازدادت حموضة ولحم
 الدندون وقد تدندن وازداد تدندنا ميو ، ميو أشد أنفي
 واسرع خطواتي والبطن ملآن والرأس يغني وأمر
 أمامهم مقوس الظهر ، بطئ الحركات مرفوع الذيل أتمايل
 مصرعا بهدوء وبلا مبالاة :

- ميو ، ميو ميو ، ميو

الحاجة تقول :

- غريب سيد احمد يجيبها من قاع غرفة الجلوس كديك رومي محبوس في غرفة مظلمة قبل الذبح :

- خليه ، خليه ، يروم وياكل ، يروم وياكل قو قو قو قو الجوع يوكل الحجر وينهي قوله بسعال ممزوج بجمجمة ثم ببصقة لماعة يرسلها من النافذة فتتمر كأنها شهاب كالذي أشاهده عندما اصعد فوق السطوح ليلا لصيد الوطاويط

وتتابع الحاجة بعد لحظات قصار :

- يتعدى قدام صحنه وما يتلفتلوش اندرى اشبيه لازم عاود مرض الهم المسخوط.

<http://Archivebeta.Saknrit.com>

تمر لحظات أخرى بطيئة ثقيلة لا يقول خلالها سيد أحمد كلمة والحاجة تترقب جوابه بشدة.

ثم أخيرا يصرح على مضض بغضب ونرفزة وقد أزعجته زوجته وأقضت مطالعته بحديثها هذا الفارغ عن القط المضرب عن الطعام. وليس هذا أمرا يشغل باله بالمرّة. والأحسن والأجدي أن يقول القول الفصل ويختم الحديث ليهنأ ويعود الى نفسه ويقطع الحوار ، بحكم لا رجوع فيه :

- خليه ، خليه وخلي صحنه كيما هو ، لا تزيدو شيء

حتى يروم ويأكل وخلص.

التفت اليه بدوري وقد اجتزت باب غرفة الجلوس
واحدق فيه مليا فأكاد اخترقه بنظراتي :

- ميو ميو « ديو ، ديو » هل تعرف كلمة « ديو »
أو انها غريبة عن مجلاتك وكتبك سيد أحمد ، ثم من أين لك
كلمة خلاص هذه ؟

هل عثرت عليها اثناء مطالعتك الجديدة ام ماذا ثم سيد
أحمد ، الدندون المسجون : الحجر تأكله أنت ودجاجتك -
عتوقاتك الزوز ميو ميو ، ميو واتابع طريقي
مرفوع الذيل اتميل بهدوء وحدة
وحدة جواهر وحدة وحدة وأخرج من الدار

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

..... وردة أمي وردة تحكي لي
كانت دائما تقص علي وتحكي لي عن عجائب الدنيا وغرائب
الناس وأنا بجانبها أسمع بأذن واحدة ، مكركب صغير أعبت
في صندوق تحت الفراش ، وهي تحكي لي وأنا أركض في
المقصورة وراءها أعبت بذيلها وأهارشها وأكدمها من أذنها
وساقها وتكدمني وتهارشني تحذرنني وردة
..... دائما تنصحنني وتزيد في نصحي كلما
كبرت وازداد هرجي ومرجي رد بالك يا جواهر رد
بالك من الناس ومن شر الناس يا جواهر ، لا تطمنن أبدا

إلى ابتسامهم وندائهم اليك ولعبهم معك فذلك مكر في مكر،
 وخداع في خداع هم سرعان ما يبتسمون
 وينشرحون وسرعان ما يغضبون ويتقلبون بين لحظة
 وأخرى رد رد بالك يا جوهر .. انهم
 ينهالون ضربا على القط المسكين لسبب تافه أو لغير
 سبب رد رد بالك يا جوهر من البشر وشر
 البشر وأنا ألعب مع وردة وأخمشها وأخدشها وأمد
 اليها أذنا واحدة وتعود الي من حين الى آخر ناصحة
 محدثة وتكرر علي أقوالها ونصائحها مرارا وتقول لي لا ، لا
 تغتر جوهر ابدا لا تغتر بحياتي أنا هنا في الدار ، اسعفني
 الحظ ، أعيش مع الحاجة حلومة والحاج الطيب ، اسعفني
 الحظ فلا تغتر بذلك ولا تعتبر الحياة سهلة كما نعيشها في
 دارنا هنا ابدا ابدا يا جوهر اتعرف ، مات
 جدك بضربة على رأسه ضربة على رأسه المسكين
 في الشارع ، وكذلك عمك وابن خالك وابنة خالك كلهم لقوا
 حتفهم في الشارع على ايدي البشر ، فلا أخطر من البشر ولا
 أكثر من البشر شرا وتقتيلا للحيوانات كلها فلا
 تغتر ابدا ولا تنطلي عليك حيلهم وخزعبلاتهم كن
 دائما يقظ الاذن والعين خفيف الحركة سريع الفرار وتسلق
 الجدران وكن دائما مرفوع الأنف لا تطمئن ولا
 تعطيمهم جانبا ابدا في الليل ولا في النهار أتعرف
 سأل الدم من أنف جدك المسكين من أثر ضربة تاجر لعين

فمات بعد يوم الانف عندنا من أضعف الاماكن
للنزيف وللموت المتحتم فاحم انفك ورأسك قدر ما استطعت
قبل سائر جسدك عند كل خطر يداهمك هم يخبرون
مشاهدة قط متشقق فوق مصب الزبلة من أن يرويه ممتددا
فوق سطح من السطوح أو عند جدران من الجدران
يجن جنونهم وينعتوننا بالكسل وهم أكسل خلق الله
..... وإن شاهدوا قفا فوق شجرة يتهمونه بالوحشية ،
وينصبون له الشراك ، وإن شاهدوه في مطبخ اتهموه
باللصوصية وطرده ضربا ودفعا بالأرجل ، وإن شاهدوه في
غرفة اعتقدوا جازمين أنه سيعمل عملة أو أنه
سيرفع رجله ويبول في كانون أو تحت فراش .
خالك محمش ، أخي من الرضاعة ، داسيت أمه عجلة كريطة
بدون ان يفتن صاحبها ولا حتى الحصان النجس اللعين
فماتت بعدما استوى نصفها الثاني وصار كقطعة من اللوح
..... واختطف خنبوش يوما سمكة من شدة الجوع
فضربته الجارة بسكين على أذنه فكادت تقطعها شطرين
..... بقي دمه يسيل نهارا وليلة وبعدها كف السيلا
فحمدنا الله ونجا من الموت وبقيت أذنه مائلة متدلية وعاش
خنبوش بيننا سنوات وأذنه مائلة ورغم ذلك لم تنقض
شجاعته بل ازدادت وصار خنبوش يقتحم الاخطار والصعاب
بدون خوف ، فكل ذي عاهة جبار مثل ينطبق على خنبوش
تماما وكان يقول لنا لا لا عليكم لا تجزعوا ولا تخافوا ان

ضربت مرة أخرى فعلى أقصى تقدير تنحدر الاذن الثانية أو تعود الأولى إلى مكانها هكذا كان يقول لنا ضاحكا وعاد فعلا مرة ثانية إلى تلك المرأة واختطف منها سمكة ثانية وفر إلى غرفة من غرف بيتها وهبت إليه الشمطاء صائحة مولولة كأن ميتا مات لها ، والسكين في يدها فاخترت تحت الفراش وأسرعت وأغلقت الباب وكان يظن أنها سوف تتبعه وتنزل على يديها ورجليها تحت الفراش فينطلق الى الباب عدوا ، حسب المسكين حسابا وحسبت هي حسابا وأكل الخنبوش سمكته الأخيرة تحت الفراش وهو لا يدري

واقبل زوجها وقصت عليه قصة القط والسمك. والقط هو نفس البقط الذي اختطف منها السمك سابقا وهو قط خطير ولص مخيف جني من الجنون الهائجة ، هجم عليها فكاد يقلبها على قفاها وترقبت قدومه ليريحها منه وعمرته كما يعمر المقرون قبل الصيد وقام ودخل على القط وزلاط في يده وانها على الخنبوش ضربا وهو يصيح ويقفز ويرتفع الى السقف ويعوي عواء شديدا والرجل يخطب يمينا وشمالا ، وفي كل الجهات التي يقفز اليها ، على رأس وعلى ظهر خنبوش وأخيرا وأخيرا ساد السكون محل العواء واخرجه من ذيله جثة هامدة ملطخة دما وأبقاه في الشارع فوق مصب الزبلة

أبكي كلما أتذكر مخمش الخنبوش كيف مات وأنت
 رد ، رد بالك رد ، رد بالك منهم انهم لا يرحمون ولا يعرفون
 الى الشفقة والرحمة سبيلا أتذكر حكايات أمي
 وردة عند الهجير وأنا معدد أو في الليل فوق أريكتي المفضلة
 في الصالون وأحسب للناس الف حساب وحساب
 وأكرههم تعود تجول في رأسي أقوالها
 ونصائحها وحكاياتها أمي وردة حكاياتها
 كلها تتراقص في رأسي كنت انذاك قطا صغيرا غرا
 أسمع بنصف اذن ألعبها وأهارشها ورغم
 ذلك ، عادت الي حكاياتها كلها ولم ولم
 أنس واحدة منها أمي وردة وردة
 وردة

عندما أسمع صوت توفيق يناديني أفرح
 واقترب منه وأتمسح به جذلا :

- ميو ، ميو ميو ، ميو
 ويناديني توفيق اذا كان حول مائدة الطعام وهو الوحيد
 الذي يرفع صوته نحوي ويناديني وأفهم لماذا
 يناديني يلقي الي بقطعة لحم حتى وان كانت صغيرة
 الحجم وتصيح فيه أمه مؤنبة ، مكشرة عن أنيابها ،
 زاعقة :

- عندو فطوره ، عندو فطوره في صحنه قو ، قوها

العلامة الفاسدة.

ويجيبها توفيق على الفور وبدون مهل ، بصوت مرتفع

- الفطور الممتاز الهائل الخامج الناتن الي الصحن
معبي بيه.

ألتقط قطعة اللحم بسرعة وهما يتخاصمان
وأفر تتحرك الحاجة وتغادر مكانها حانقة
أشاهدها وأنا ابتعد بمؤخر عيني فأسرع متجها الى الحديقة
..... وتصيح وراني.

- أنا وراك يا هم والله لا ما تشوف ، الماكلة
متاعك ملوحة في الصحن ما تتلفتلهاش قوقو
قوقو ابتعد ، وثبا الى قاع الحديقة ، مبتسما ، قوقو
اعرف انها تكره السير فوق التراب وبين الأزهار
وتحت الاشجار الدندونة لا تستطيع اللحاق بي
..... دندونة تجري وراء قط أتعلم قطعة اللحم
واشترك توف فردة من حذائها تزف بين أذني ورأسي
وتسقط غير بعيد عني واسمع توفيق يتوعد عن
بعد :

- والله لو كان تضربه أقلب الدنيا واقلب الفطور
متاعكم ويتابع صديقي توفيق صياحه وتوعده

وتقترب الحاجة على ساق واحدة ، من حذائها تحت شجرة
التين ، بعدما تسلقت الى الجدار ، متجها الى الشارع وقطعة
اللحم في فمي

- والله لاما نوريك ، ترجع ونوريكتلتقط
حذاءها ، وانزل في الشارع صديقي توفيق هو
صديقي في الدار كلها يحبني ويدافع عني إذا
أرادوا الغدر بي هو الصديق الوحيد من بين كل
البشر اطمئن اليه كل الاطمئنان والبقية
الشكارة والبحر الشكارة والبر البر ثم البحر
البحر ، البحر ...

أثناء ملء شذقي وأتمطط وأعود أثناء
ملء شذقي من جديد وأتمطط ، وتبرز مخالبها فاغرزا في
الأريكة وأتقلص وأتمدّد وهي وهي وهي خرش
كرش خرش كرش كرش أعمال مخالبها على طول الأريكة
كلها ، بكل قواي متمددا متقلصا فاشعر براحة
كبيرة يوما كاملا قضيته في الصيد والتنقل بين
الأشجار وفوق السطوح وديار الجيران والالتقاء
بغطوط ولسود ودرغوم وغمغم ومامية وشناب مبتعدا عن
الحاجة صالحة اللعينة بعد ضربة الحذاء التي كادت تنزل على
رأسي وكل مرة التقى بعلاجية أكش في وجهها
وأشمّمها وأقلّبها وانظر فيها وهي مذعنة ثم أكرمها من

عنقها ،، وقالت لي ان كشوخ تجراً وكشخ في
 وجهها وبحلق في عينيها بقيت فوق السطح أترقبه
 وأقبل لعتر وزيتونة وبعواق وخنشر : سمعوا
 الخبر فاقبلوا مسرعين بقيت أترقب حتى أذان
 المغرب ثم أذان العشاء في الصوامع أترقب فوق
 السطح والجميع يرتقب وقد ازداد عدد المتفرجين
 كلهم يريدون مشاهدة المعركة وبان لنا كشوخ بلونه
 الأصفر القذر عن بعد وأقبل علينا رويدا رويدا وقد
 سمع الخبر والجمع ينتظر رفع ذيله وكش
 في وجهي ، واهتزت الجماعة وكثر الهمس وعلجية وسط
 مامية ومريم وتحفة ويسمينه وفيروز وصاحبة الملايم
 وزهرة وكششت في وجه كشوخ وقام شعر جسدي كالإبر
 وتقوس ظهره ، وبرزت مخاليبي وبرزت مخالبه واقتربت
 منه ببطء وحمت حوله ثم التفت اليه كاشا.

- علية هذه المرة من نصيبي مساء الخير وتصبح على
 خير فأجابني كاشا بدوره :

- وأنا اخترت علية قبلك مساء الخير.

وأقبل بسرعة شناب وفلفل وشيته ودحود وفزفز
 يتراكمون عندما سمعوا اللّغط والكش والعواء ومعهم
 الصغير لكلك بن خربوشة وصحت فيه وصاح في
 وأبتدأ الشباط انقضضت عليه وكدمته من رقبتة وشدت
 عليه وقفز اللعين وشد علي ظهري فكاد يقطع منه قطعة
 وانفلت منه بصعوبة ثم جعلنا نتقلب فوق السطوح

وعلا عواؤنا وهديرنا ثم لم أدر كيف انفصلنا لكننا
 انفصلنا بقينا مدة أحر ويحمر اكش ويكش أشتمه
 ويشتمني أمعوق له ويمعوق لي ؛ ثم اشتبكنا من جديد في
 صراخ حاد عنيف عملنا فيه هذه المرة الانياب والمخالب حتى
 صرت لا أدري ماذا أفعل وصار كشوخ يخبط واخبط في كل
 الجهات باليدين والرجلين وقد سال دمي ودمه وشد
 اللعين بانيابه على ذراعي حتى خلقتها قطعت وصحت صيحة
 مدوية ثم جعلنا نتقلب من جديد فوق السطوح
 حتى سقطنا سارعت بالانتفاخ وانتفخ اللعين بدوره ، كنت
 من حسن الحظ فوقه وأراد الخبيث الانقلاب لكن تشبثت به
 حتى عمل ارتطم فوق الأرض على ظهره عوى عواء
 شديدا وفارقنا وهو يئن ويعوي وبعد
 يومين شاهده لكلك وغطروف متشلقا في مصب الزبلة في
 رأس النهج فاقبلا علي وأطلا من فوق السور وأنا في
 الحديقة وأخبراني الخبر أتشاء وأعود
 اتشاء أفتح عيني وأتمطط ثم
 أعود أتكور وأغمض عيني ، أصطاد النوم كما أصطاد الفئران
 والعصافير وكل مرة يهرب عني النوم ويفر ضاحكا
 متهكما يقترب ويبتعد ، وأغمض عيني من
 جديد وأتناوم له لكي يقترب مني فيقترب
 وهوب يبتعد اللعين فارا بعيدا وأفكر في ورده
 كانت تحذرني دائما بدون انقطاع ، وأنا ألعب بين
 يديها وأنصت اليها بنصف أذن أو بأذن واحدة والاذن الأخرى
 متلهية تنصت الى كل ما يدور ويحدث وسط الدار وخارج

الدار وفوق السطوح وهي تحب الحاجة
 حلومة والحاج الطيب ، والحاج الطيب ، طيب
 القلب ، طيب الفعال طيب الحكايات
 والفكاهات ، والحاجة حلومة حاجة بأتم معنى الكلمة ، حجت
 مع الحاج الطيب عند حجته السادسة أو السابعة لا أدري ،
 وافتقدتهما ورده وبكت وجزعت
 وهلعت بقيت أياما وراء باب الدار قابضة تمعوق
 وتخرش تريد الخروج واللاحق بهما بقيت
 أياما لا تأكل ولا تشرب قابضة وراء باب الدار
 ثم تدخل الغرف غرفة غرفة وتموء لا تأكل
 ولا تشرب الجيران ياتون لها بالطعام فلا
 تأكل ولا تشرب ميو ميو تبحث عنهما
 في كل مكان ثم ترجع الى باب الدار تعتقد
 أنهما سوف يعودان في القريب العاجل في يوم أو
 يومين والجيران يدخلون ويخرجون ، يطربقون
 الأبواب بشدة وعنف أحيانا يرفعون أمتعة الدار من
 الغرف ويأخذونها الى منازلهم وأمي ورده غضبانة
 حزينة تموء محتجة تموء وأحيانا
 ينام بعضهم في غرف النوم وحتى في فراش الحاج والحاجة
 فتكاد تفقد صوابها وتخرج من عقلها وأولاد
 الجيران يلعبون وسط الدار وداخل الغرف وأبواب
 الغرف ونوافذها تعمل طرق طاق ، طاق ترطاق
 ARCHIVE
 http://Archiv-beta.Sakrit.com

ونبتت للحشائش البرية في صحن الدار وسال التراب
 وسكسك من الجدران وحزنت الدار كلها لغياب
 الحاج والحاجة وهاجت الفئران وانشغلت
 وردة بصيد الفئران وتلّهُت بهم فخف حزنها
 وطربت لصيدهم ولو لم تهج الفئران لما تلت وردة جوعا
 وحزنا وقبل أيام قلائل من عودة الحاج والحاجة ،
 أقبل الجيران ونظفوا الدار وصحن الدار والمطبخ والغرف ،
 وأعادوا كل شيء الى مكانه وعاد الحاج والحاجة من
 الحج ليلا ، يرتديان البياض اهتزت وردة فرحا ولم
 تصدق عينيها ولا أنفها ومن ذلك التاريخ التصقت
 وردة بركبة الحاجة ولم تفارقها وفي الليل تصعد
 الى فراشهما وتخرفهما من شدة الشوق فر فر فر
 فر فر فر فر فر كامل الليل على
 نفس الوتيرة من فرط المحبة للحاج والحاجة تحكي
 لهما عن أبائهما وأجدادهما بدون هجعة كل ليلة
 والحاجة تسبح وتصفي وتضحك من حين لآخر قائلة لها :

« اه يا وردة يا وردة ما كنتش نظن الي انت باش تفرح
 بينا هذه الفرحة وانت توحشتنا كل هذه
 الوحش والله ما كنت نظن يا وردة يا وردة »

- فر فر فر فر فر ووردة من ناحيتها
 تقص عليها وتحكي لها

- والجيران اعتنوا بك أناس ملاح ناس
طيبين سي الطاهر وإلا بهيجة ناس يعملوا
الكيف فر فر فر فر فر ويقبل
الحاج الطيب علينا أحيانا أشاهده في المنزل
..... يرتدي بدلته البيضاء التي عاد فيها من الحج ،
يتجول في المنزل كله في سكون وبدون دوي قبل أن يجلس
بجانب ابنه سيد أحمد ويتأمل الحاج الطيب حسية
وخديجة بفرح وابتسام ويتأمل حفيده توفيق بفرح واعجاب
..... يتمتم الحاج الطيب محركا شفثيه بأموء اليه
مرحبا واتبع خطواته وتنقلاته في المنزل ويرتفع صوته
أكثر وأسمع من كلامه كلمات هذا ، هذا الحفيد
البار الصالح المجتهد الناجح يتكلم بفرح
وابتهاج الحاج الطيب سعيد بحفيده توفيق السعادة
كلها لا ، لا يشعر بوجوده أحد في المنزل لا يلتفت
اليه أحد وهو يمر في الممر وعندما ينتقل من غرفة
الى أخرى ويبقى الحاج جالسا بينهم ولا يشعر
بوجوده أحد ولا يبادله حديثا بحيث أحد يتبع
حوارهم. محركا رأسه ممعنا النظر في وجوههم
بفرح أحيانا وبحزن غالبا وتقبل الحاجة
حلومة بدورها أيضا فأموء لها فرحا مرحبا كما أموء للحاج
عند قدومه. أحبها ، كانت تحب ورده كثيرا ، وترتدي
الحاجة كذلك بدلة الحج وتتجول بدورها في المنزل
وكامل غرف المنزل وتصعد بخفة عجيبة الى
السدة ويعلو تنهدها وحسرتها وأتابع
تنقلهما في الدار وأنا أهل فرحا ميو ميو ميو

ميو وعند المغرب يصليان وعند العشاء
 يصليان الحاج أمام الحاجة لا ياكلان طعاما ولا
 يشربان شرابا وتلتفت إليّ الحاجة وأنا أموء
 وراءها وتتفرس في وتمعن النظر في كامل جسدي
 وتطيل قائمة إليّ وكأنها تحدثني وتحدث نفسها في أن واحد:

- ما يعطيش تاكل جوهر حرام
 حرام عليهم الماكلة القارصة ، يحطوها لك في
 الصحن ورغم ذلك كبرت وأنت جميل يا ولد ورده
 حرام حرام عليهم بالطبع تصطاد
 العصافير أنت شيطان موش كيف أمك هي من الحج
 ما عادش تحب تفارقني.

ما عادش تحب تفارق ركبتي ورده جميلة
 ولطيفة
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

أه ، زوجة ابني خبيثة ولحم الدندون
 انتهوا الى لحم الدندون عديمة الاخلاق رديئة
 التصرف حيرتني كثيرا وابني احمد يتعذب
 مسكين شاحب اللون قضاء وقدر
 كل شيء قضاء وقدر وتنزل دمعات رقاق
 كالفضة من مآقيها وتمسحها بمحر شديدة البياض
 كأنها من نور ويغادران الدار الحاج الطيب
 بجانب الحاجة حلومة واقتفي اثرهما يتجهان الى
 الحديقة رويدا رويدا يلتفتان الى كل جهات الحديقة
 ببطء شديد ينظران الى الأشجار والأنوار

والأزهار ويقفان عند شجرة الزيتون برهة ثم
يتابعان طريقهما ، ويتجهان الى الباب الخارجي
أموء اليهما مودعا ميو ميو ميو
..... فلا يلتفتان يتحدقان يفارقان
الدار وهما يتحدقان ويبتعدان ويبتعدان
تسللت الى الصالون بصعوبة بعدما تيقنت من أن
أحد لم يتفطن الي وأنا اتنقل على ارجلي بعسر
..... لم يأتني النوم وأنا مستلق فوق الأريكة
دم ، دم ، دم صار هدوء الليل يزعجني للسكون
أصوات تزعجني وتبعد عني النوم دم ، دم ، دم
والنوم يأبى أن يزور جفوني ومع ذلك أتناوم
..... دم ، دم ، دم هدوء الليل ممتد عميق أريد أن أسمع
دويا ولو خارج الدار دم ، دم ، دم موسيقى غريبة ،
تعزف بعيدا في أعماق رأسي أسمعها رغما عني ،
وأنتبه اليها وأنصت وأمعن في الانصات ، فتكف
ثم تعود شيئا فشيئا رقيقة رهيفة أسمعها
بعيدة ، مترنمة في أبعد ركن من أركان رأسي
..... ولو ولو كانت الفئران في السدة تتحاور
..... لكف كل ما يجول في رأسي ... وأرهفت السمع
وهي تسمر أو تغني قبل نومها قضى عليها سيد
أحمد وبقيت بعض الخنافس تتجول في انقاض
السدة خرش خنفش أسمع خروشتها على بعد أحيانا
ملاعين والله ملاعين كلهم ملاعين قبل
نومهم كانوا ينظرون الى صندوق التلفاز ، ويقهقهون ما
أبشع قهقهاتهم الفجة الغليظة والنحيلة

الحادة التي تبعث بقشعريرة ، تتجول في كامل جسمي ما عدا قهقهة توفيق دائما أتبين قهقهة توفيق من بين عشرات القهقهات ، وأطرب اليها بدون أن أشعر ، أطرب الى رناتها وخلجاتها ثم انه لا يقهقه كثيرا يذهب ويركن في غرفته في غالب الاحيان ولا يحب السهر معهم يخير غرفته قهقهته التوفيق توفيق عندما يقهقه وعندما يضحك أو حتى يبتسم توفيق توفيق توفيق.

..... ورأيت فيما يرى النائم ويشاهد بعينه ، ويسمع بأذنيه ويعيش بحواسه كلها وكأنه في اليقظة ، أني صرت ملكا ، ملكا عظيما ، ووضع فوق رأسي تاج مرصع بالزمرد والياقوت ، جالس فوق كرسي من العاج الخالص وفي يدي صولجان وأنوار تخلق الأبصار وموسيقى ورقص ومئات الفئران ترقص فرحة منشرفة ومن بينها كل الفئران التي افترستها تشير إلي ضاحكة وهي ترقص أشد نفسي لكي لا ألقى بالصولجان وانقض عليها ... فئران موسيقيون يرتدون ملابس حمراء وصفراء يعزفون على آلاتهم النحاسية فتنبعث أنغام صداها تلك التي تتجول دائما في أعماق رأسي واسمعها عندما يخيم السكون هي الآن أقوى وأجمل سماوية تعاما تخلق الأذهان وتسلب العقول المدعوون كلهم يرتدون لدات بيضاء حريرية مطرزة بخيوط من فضة

أو من ذهب أهتز ويتحلب رقيقي وترقص أمعائي
 لمشاهدة بعض فنران بوطميرة تقترب راقصة من المصطبة
 تتراقص لها عيناى رغما عني وتتحرك
 لها شواربي تبرزلي أيديهم الوردية وأرجلهم
 الوردية في أحذية صغيرة خضراء وصفراء وبيضاء وحمراء
 وبرتقالية وفي لون البنفسج فأشد نفسي بصعوبة
 الاناث منهم محمرة الخدود مغبرة الخناخيش مكحلة الأعين ،
 والذكور مسودة الشوارب ، وبعضهم فوق أعينها
 نظارات منتصب ملك على كل الفنران ، على
 كرسي فوق مصطبة مرتفعة والزرابي مطروحة تغطي
 وتزين كامل القاعة والقاعة طويلة لا تنتهي عريضة لا تنتهي
 ومن السقف تنحدر عشرات الثريات ، تنبعث منها
 أنوار ساطعة خبطت بالصولجان على المصطبة
 فارتجت القاعة وساد السكوت بقي دوي خافت ،
 ذيلي وراء الكرسي يتمايل وصفار الفنران متشبثين به
 يتدحرجون ويغنون بأصواتهم الزقيقة :

« عم جوهر ، عم جوهر ضيف عندنا

عم جوهر القطوس المقطوس يحبنا

ويجي عندنا نحن لا نخاف عم جوهر ،

نتشعبط ونتدحرج في ذيله الطويل ، الطويل قد حبل

البير ويتضاحكون

صحت

- هاتوا العشاء وأسرعوا

كثرت الحركة في القاعة ، وكثر الذهاب والإياب وبقيت الموسيقى صامتة ونصبوا في لمح البصر طاولة لا تنتهي وضعوا فوقها غطاء أبيض طويلا لا ينتهي ثم أتوا بعلالش مشوية ومصلية تتشتش وكر كروا ورججورا حيتان عظيمة ووضعوها فوق الطاولة في رمشة عين وأتوا بحمام وفراخ وعصافير شهية بدون حساب ، مقلية في السمن ، معرمة في صحون عظيمة بدون حساب ثم صاحوا كلهم حالما انتهوا من وضع الطاولة ، فرحين ضاحكين :

- خطبة أيها الملك جوهر خطبة.

فضربت بالصولجان ثانية وقد سال لعابي وبلل المصطبة وكون بركة صغيرة بين رجلي نحنحت ثم بسملت وكلهم أذان صغيرة وردية شهية شهية شهية ترق صاغية تعالكت نفسي بصعوبة واستغفرت الله بصعوبة ثم بسملت بسم الله الرحمان الرحيم وحمدلت اسمع فرقعة قوية اهتزت لها القاعة كلها وزعيقا كزعيق ديك رومي وحشي في حجم فيل ارتجت من أثره الطاولة وتراقص كل ما كان فوقها أمام عيني ورقصت الثريات في السقف وفرت الفئران وقفز بعضهم فوق بعض ونطع وتطاييرت آلات الموسيقى وفتحت عيني أكثر للحدث

الطارئ المفزع فشاهدت سيد أحمد يسعل في الممر ، يهتز من شدة سعاله محمر الوجه ، مشدود الأنفاس ، يسرع خطواته متجها الى بيت الحمام نزلت من فوق الأريكة بعجل وانا استعيز من الشياطين كلها ومن سيد أحمد ثم تسلفت بسرعة من الصالون الى المطبخ لاعنا شاتما أموت حسرة على المأذبة ألعن سيد أحمد. الشيطان أخرج الناس من الجنة ، وسيد أحمد أخرجني من ملك عظيم ، كنت قبل ساعة ملكا عليه طرف تف خترف واندفعت من النافذة الى الحديقة تاركا الديك الرومي الخبيث يهتز سعالا وتكاد روحه تخرج وألعن من جديد سيد أحمد ! كنت سلطانا أتهى لعشاء فخم فأصبحت جوعان طويان أتقل في هذا الفجر في الحديقة بحسرة وندم عن ملك راح في رمشة عين

جعلت أسير بخطى بطيئة تحت الأشجار من شجرة الى أخرى زقزقت بعض العصافير أنتبهت إليها ورفعت رأسي أتحسس أين اختفت وقضت ليلتها وأين تجمعت لتنام تابعت تنقلي مختفيا تحت الأشجار أشجار اللوز والعنب والبرتقال وشجرة التين أتنسم رائحتهم الزكية يجب أن أمش مش واحدا في الحين على الأقل ، في هذا الفجر الباكر عوض العلاليش المشوية والأسماك المقلية يجب أن أقبض على عصفور على

أقل تقدير وان أعجل وأتسلق شجرة التين
 أفضل شجرة التين على كل شجرة ، أستطيع أن أختفي بين
 أوراقها التي تحاكي أذان الفيلة وأصطاد بدون مشقة
 ولا عناء ثم أنزل بسهولة بدون شقاء ولا خصام
 شجرة التين لا ترفع صوتها محتجة جلدها
 غليظة خشنة كجلدة الفيلة تقول لي إن أردت القول
 على أكثر تقدير :

- ساعد يا جوهر ، ساعد

تقول لي ذلك بصوت منخفض ، بدون صياح ولا تأنيب،
 كأنها تقول لي صباح الخير أو مساء الخير لا ، لا
 أريد صياحا ولا خصاما في هذا الفجر أريد عصفورا
 أو عصفورين تحركت بعض الأشجار ثم استيقظت
 كما استيقظت بعض الأزهار وتمايلت

- صباح الخير يا عم جوهر

- ماذا أتى بك في هذا الفجر

- مرحبا بك وأهلا وسهلا ،

- ما بك عم جوهر ، تقوم باكرا هذا اليوم ؟

- ماذا جرى لك ! أنت حزين ؟ ! ؟

- صباح الورد والياسمين.

- صباح الحديقة يا عم جوهر.

..... التحيات تنهال هلي بفرح وحبور من اليأس
والورد والياسمين ومن القرنفل والنجرجس
والتساؤلات من الاشجار وأنوارها والازهار
وتبتسم مشرقة في هذا الفجر الندي الجميل
والتفت الى وردة بيضاء من بين الورود وقلت لها :

- وأنت كيف أصبحت يا جميلة ، أتعرفين أن أمي كانت
شذية يانعة مثلك كانت جميلة اللون حلوة المنظر ، بيضاء
مثلك ريانة مثلك تماما مثلك حتى سموها وردة
وترقرقت دموعي في مآقي ، وترقرقت دموع الوردة ولمعت
بين جفونها ثم قالت لي :

- الله يرحمها يا عم جوهر !!

- الله يرحم والديك أنت أيضا !!

واهتزت وردة صغيرة غريرة وصاحت باكية مستنجدة ،
فقفزت إليها مسرعا :

- ما بك ، ما بك يا صغيرة.

فأجابتنني بين دموعها :

- جرادة ، جرادة .. تاكلني ... تنهشني ..

.....بحثت بعجل هززت الأوراق
 وحركتها حتى عثرت عليها فانقلب شعري
 وارتفع ذيلي لمنظرها الخبيث ولخدرشاتها
 وقفزاتها. وبعثرتها بسرعة ثم قلبتها
 وشقلبها مرارا حتى أبعدتها عن الزهرة
 الصغيرة قفزت محاولة الطيران والفرار فضربت
 بخفي فألصقتها بالأرض ثم أهويت عليها خروش
 خروش ، خروشوشوش يا سيد أحمد الله يحاسبك،
 حلمت بالعلالsh والحيتان وها أنا أفطر على جرادة
 اقضضت مضجعي وهدمت ملكي ، والله يقض مضجعك
 أين ستجد قبرك ينقل كله الى نار جهنم
 وأنت داخله تزعق يبتسم جوهر ، ويعود اليه فرحه
 ونشاطه بعد أن صب جاد غضبه على سيد أحمد
ويقفز من وردة الى وردة يذب عنها الحشرات
 المحمومة دائما حولها الممتصة دمها ويسرع
 وراء الحشرات الفارة ويتبع الخفافيس السوداء
 الدائبة على أرجلها المسرعة في تنقلها فينثرها ، ويكركبها،
 ويقفز أمامها ومن حولها وخلفها وينثرها بعيدا
 ويقذفها في كل الجهات محذرا متوعدا ان حدثتها
 نفسها في العودة الى الأزهار في الليالي المقبلة
 يكثر جوهر من قفزاته مرفوع الذيل سريع الحركات

فتتمايل بعض الأزهار الصغيرة لقفزاته ضحكا

- زعطوط

يجمد في مكانه ، ويسود سكوت ثم يرفع رأسه
يقلب عينيه .

- زعطوط ، زعطوط يرفع صوته كاشا

- من هذا الذي يناديني ؟؟

- زعطوط زعيطيط

يرفع صوته أكثر بغضب شديد

- من هذا الذي يجرأ ويناديني بكل هذه الوقاحة

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

وبهذا الاسم الذي أمقته ؟؟؟

- أنت الزعطوط المزعطط

يصيح أكثر وقد فقد صوابه

- من ، من هذا الجبان الوقح من ؟

- زعيطيط ، زعيطيط

يسكت ويتنقل ببطء وغضب شديد ويبحث

بعينه الحادثين بين الأزهار وتحت أوراق العطرشاه والحناء

وبين أوراق الورد وأعراف الحبق وعند أغصان القرنفل ،
يبحث ببطء شديد والشرر يتطاير من عينيه

- زعطوط المزعطط زعيطيط

يقفز الى مصدر الصوت بسرعة ويدخل رأسه بين
الأغصان باحثا تقول له الأزهار كلها والانوار كلها دفعة
واحدة

- لا ، لا يا عم جوهر ، نحن كلنا نحبك ، أنت الذي
تحرصنا وتحمينا نحن كلنا نحبك لا تجرأ
واحدة منا وتناديك بذلك الاسم القبيح الذي تمقته
منهن من تحمر ويزداد احمرارها ، ومنهن من تبيض
ويزداد بياضها ومنهن من يزداد لونها البنفسجي
غمقا

- زعيطط ، زعيطيط

تبرز مخالبه ويندفع قافزا الى المكان الجديد الذي
انبعث منه النداء ويندس بسرعة البرق بين اوراق
الازهار الشائكة ويكش وكأنه يصارع ثعبان عظيمًا متلبدا
بين الازهار.

تصيح قرنفة غير بعيد :

- ها هي ها هي يا عم جوهر ها هي !!

كلهم داخلين خارجين الملاعين ميو ،
ميو فماذا ماذا أصابهم ؟؟

سيد أحمد ساكن ساكن لا يصيح ولا يصيح
ماذا أصابه ؟؟ وبعد خرج غادر الدار وخرج الى
الشارع وغاب طويلا ساعة ساعتين حتى
بعد المغرب ثم رجع يصيح ويصيح أكثر من العادة
..... ليلة سوداء ابتدأت ليلة زرقاء كشاكشه مكشكشه
يقلب الدار بصراخه يهدر ويصيح ، ميو ، ميو
أروم الخروج فلا أستطيع الأبواب مغلقة والنوافذ مغلقة
أيضا والحال صيف استزع وأختفي في
غرفة النوم ، وتحت الفراش بدون ميو ، ميو
..... أغير رأيي وأنطلق مسرعا الى الصالون ، هم لا
يسهرون في الصالون وبالأخص ليلة كهذه وأدخل
تحت الأريكة لا فوقها الحاجة صالحة ساكنة بدون قو
قو ، شعرها وحده يعمل كرت كرت أسمع على بعد وكلما
اقتربت ازداد كرت كرت أسمع حتى وأنا تحت الأريكة
..... أقسم سيد أحمد أنه سيحطم التلفاز ثم أقسم
ان التلفاز سيبقى مغلقا السنة المقبلة كلها ، ثم عاد وخرج
من غرفته وأقسم أنه من الغد سيخرج التلفاز من قاعة
الجلوس ويلقيه في غرفة الصابون في قاع الحديقة ففرحت
وكدت أعمل ميو ، ميو من تحت الأريكة سأفزع في
التلفاز وحدي بدون قهقهاتهم والزييام امتحان

تحدثوا عنه كثيرا ، سنة كاملة وحسبته تحضر السيزيام
أمام التلفاز وأبوها يقول لها :

- تنجح وأشري لك دراجة "

وأما تقول لها :

- تنجح واشتري لك بيانو

ويقولان لها معا :

- تنجح ونشري لك فرش جديد ومكتبة جديدة

و داخل التلفاز رقص و غناء و منذ شهر
فارق ساعديه واعتنى بحسبته اليوم نهار أغبش
أسود أزرق سيد أحمد قلب الدنيا ، و حسبته في
فراشها تبكي ، و الحاجة تقول لها و تعاود تقول لها السنة
المقبلة ، السنة المقبلة صار في النهاية سيد أحمد
يزعق زعيق الديك الرومي الهائج الليلة ليلة زرقاء
سوداء القيامة قامت و أنا مسجون تحت
الاربكة في الصالون لوكان لوكان أخرج رأسي
وأعمل لهم مينو الليلة تشوم ، و سيد أحمد يعطيني
ضربة السيزيام لا تقرأ و لا تكتب و نتشلقح فوق
مصب الزبلة ونخلط على الجماعة في الغد
نهار كامل أزرق ، أسود أحمر لا أكل ولا شراب وأنا

مسجون في الصالون والباب مغلق، لا أستطيع أن أخربش
ولا أن أخروش محاولا الخروج والانفلات من إحدى النوافذ
..... صبرت وسلمت أمري لله وانفتح الباب
..... لست أدري كيف عمل ترك وحدو هكذا
ترك وانفتح إنطلقت أجري في الممر
وأندفع الى المطبخ ولحسن الحظ بابه مفتوح، انقذف من
المطبخ الى الحديقة حمدت الله وشكرته لو
لقيني سيد احمد لصاح بي:

- ابعد عليه قطوس النحس ملي ريناك ما رينا خير
وانت ديمة قدام وجهي ،،،،، واشغتطم.

أكلها ضربة على ظهري والا على جنبي وكأني
السبب في عدم نجاح حسيبة في السيزيام أو كأني
المسؤول عن شهاد السيزيام وتلوح لي النجوم تتراقص في
سقف المطبخ خرجت وحمدت الله إنني خرجت ،
وتنفست الصعداء وإن لم تكن ثمة صعداء بين الدار والحديقة
..... وعادت الى أنفاسي أسمع عياطهم على بعد
..... أصعد الى السطح وازداد غضبهم وهم
يسمعون ان ابنة الجيران نجحت في السيزيام وان
ابن جار آخر نجح هو ايضا في السيزيام المهم
والحق يقال ان حسيبة وانا على عين المكان أراقب كل ليلة
حركاتهم وسكاناتهم لم تجتهد الا في الجلوس امام سي

التلفاز..... هاهم يسمعون الزغاريد في دار غير بعيدة
 ازداد غضبهم وتفاقم حزنهم بعد ساعات
 عادت الزغاريد أقوى وأشد وأقبلت الموسيقى وجعلت تعزف
 مدة من الزمن أركض فوق السطوح أتجه الى
 أصوات الموسيقى واركض من سطح الى
 آخر اكهب واطل ميو ميو ميو اعمل
 لهم ميو ميو من فوق ، انوار ساطعة منبعثة من بعض
 ثريات رجل جالس على كرسي مرتفع وبجانبه
 امرأة الازهار حولهما المرأة جميلة ،
 ترتدي بدلة مطرزة بيضاء والرجل يرتدي بدلة
 سوداء وموسيقيون يعزفون أناس
 جالسون وسط الدار الرجل والمرأة جالسان على
 كرسين أنيقين ، والكرسيان فوق مصطبة والمصطبة
 فوقها زربية ، وتحتها زربية وأمامها زربية ،
 والموسيقى تعزف

صديقي توفيق دائما صديقي يتناولني بين
 يديه ويرفعني اليه لا أضطرب أبدا عندما يفعل ذلك
 ولا أموء محتجا بل أموء فرحا ومحبة
 ودخل في اليوم الى غرفته قاذلا هامسا في أذني :

- انت صرت قط وحشي ، ما عادش نشوفك

- ميو ، ميو

وما عادش تحب تقعد في الدار

- ميو ميو ميو ميو

وتأمل في جيدا

- قل لي زعطوط ، قل لي الدار ماعادش تحب تقعد

فيها ؟

هو الوحيد الذي أقبل منه اسم زعطوط بدون أن
أغضب. وهو الوحيد من بين سكان الدار كلها ، ومن بين
الناس كلهم ، هو الوحيد الذي أقبل منه ان يضمني اليه
بدون ان اخمش واخذش وبدون أن أتلوى وأتملص
يضمني اليه فيملوني الفرح وأسمع دف ، دف ، دف دقات
قلبه وأسمع هش هش هش انطلاق رنتيه وتقبلهما
للواء وخروجه منهما.

- قل لي يا شيطان قداش من عصفور كليت اليوم
وكرشك مليانة ها ، ويجس لي بطني مبتسما
نشوفك ديمة من الشباك وأنت فوق الشجر ناصب تصطاد
..... أفعالك الكل أعرفها يا زفتي ويمسح على
رأسي ويتابع تلعرف انا نوافقك لو كنت قطوس
كيفك الدار ما نقعد فيها لحظة

- ميو ، ميو ميو ، ميو

- اصطاد ، عندك الحق تصطاد على روحك ، كان ما

تصطادش حتى واحد ما يصطاد في بقعتك.

- فر فر فر..... فر فر

- ها ؟ بديت تخرف الليلة شيخة

اعرف كيف تزفر وتتوكل على الله وتبدأ تفرفر

- فر فر فر..... فر فر

- ها ، تحب ترقد في الفرش الليلة وتخرف

لي هاك فرحان زاهي البال

ويضعني فوق فراشه واقترب واتمسح برأسه وكتفيه
وذراعيه.

- فر فر فر..... فر فر

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

أتمسح به أكثر فأكثر وهو يحدثني

- أعرف أنت ترقد في الصالون وتخبر ديمة

النوم فيه واحد ما فطن بيك والله

..... والله واحد كيفك ما ثماش يا زعطوط ، يا مزعطط

..... ويمسك رأسي بيديه ويدنيني اليه ثم يلصقني

بصدره..... فأعود أسمع دف ، دف ، دف ، دف هش هش ،

هش هش ثم ينظر الي مليا بمحبة كبيرة.

- يا نمس يا نمس ، قطوس كيفك ما ثماش في الدنيا

- فر فر فر فر فر فر

- وهذه القلادة لدورها برقبتك ، تحبها أنت ، منظر
فيها أحرف فرتحك منها خير ويفتحها
بسهولة وبسرعة ثم يفتح النافذة على مصراعها ويقذف بها
بعيدا بكل قواه بعيدا ربما سقطت في حديقة
الجيران أو ربما سقطت في الحديقة المجاورة لها أو
فوق السطوح

- خير بلاش القلادة الى حطوها لك ، ها خير
ويمسح علي رقبتني عند موضع القلادة كأنك كنت
مربوط في حبس وفلت

- فر فر فر فر فر فر

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

- خرف على روحك خرف واسهر
الليلة وخرف الليلة ليلة جميلة ليلة
أحد

ثم يجعل توفيق يطالع يفتح كتبه
ويطالع

- فر فر فر فر فر فر فر
فر فر

نتيلة التباينية

تواجه وانقراض

دخلا الرحلة ..

التفت نحوها « هات يدك سنبدوها الآن. قد تطول
وتقصر ، تطول تأخذنا معها الى أرذل العمر. وتقصر
فتبعدك عني.. أو تبعدني عنك وهذه شأنها ، لا تقف على
قاعدة معينة. وإني لواجد هذه الرحلة مغلقة على نفسها
محمومة نافرة .. باردة مخيفة.

هات يدك ، ندخل تجاويفها ، أعاصيرها .. تقدمي ،
تقدمي ولا تخافي وحاذري .. لا تمشي على الأرض صلفا فيها
بقايا عظم الانسان لم يبرد بعد .. تأكل ولم يبرد.

أدركت رُضوى أنه دخل في حالة غيبية. شدت ثوبه
قالت :

حتى يبرد العظم يا ملك ، إني لداخلة معك الرحلة ، إنها
تدعوني بكل ومضاتها واهتزازاتها. سأفنى فيها معك ما
يطول وما يقصر كما قلت أنت. إني أرى أمامي البداية فقط،
وأراك أنت وأسمعك ، لن أمشي على الأرض صلفا ، عظم

الانسان لم يبرد. دليل العدم لا يبرد يظل يعاند السنوات ...
ولا يبرد « يقول :

هنا كانت حياة ، كان وجود. ثم يعيش العظم عدميته
أكثر مما يعيش اللحم.
تمد يدها تعانقه..

قالت : لي رغبة ملحة يا ملك أريد أن تتحقق لنا..
قال : وما هذه الرغبة يا رُضوى ؟؟
قالت : أن لا أحلم ، لا أريد أن أحلم معك ، لأن الأحلام
فانية ، ترشحنا للمرارة ، تثقل كواهلنا بكوابيس مرعبة ،
كوننا لا يحلم ، هو عملي جدا ، والحياة لا تعطي ولا تلد ، هي
عقيمة ، نحن الكون عندما نعمره ونحن الحياة عندما نتحرك
داخلها.

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

قال : عما قريب سيموت النور..
قالت : ما أقصر ما يعيش النور.
قال : وما أقصر ما تعيش الظلمة.
قالت : نحن مثل النور . مثل الظلمة..
قال : قد يتعب النور ، وهو يطلّ على الكون في حياته..
قالت : ولكنه يتجدد ..
قال : لا أعتقد أن نور الأمس هو نفسه نور اليوم..
قالت : ماذا تقول ؟؟ لا. لا.. الغيبيات .. سنعود
للغيبيات ..

قال : المنطق يا رضوى

انتشرت الظلمة .. شدها اليه ..

قال : هذه الخميطة ما رأيك ؟؟

قالت : جميلة مادمت معي ..

طرحت ملاءتها وارتمت فوقها. تمدد بجانبها.

قال : سنرقب معا ميلاد النجوم

قالت : ونعيش حياتها ..

قال : وموتها أيضا لأنها تموت مع الصباح ..

قالت : تموت ؟ وأين تذهب عظامها هل هي لا تبرد مثل

عظام الانسان والحيوان ؟؟

قال : الكائنات الأخرى ألوان وصور تذوب ويذوب فيها

كل شيء يواصلها بالحياة .. <http://Archivebeta.Saghlit.com>

قالت : ما الحياة ؟؟

قال : الحياة صُرْفَة الرب نخرج من ماء دافق يخرج من

بين الصلب والترائب ، نخرج من بعضنا نبداً صغاراً وننتهي

صغاراً.

قالت : كيف ؟؟ كيف ننتهي ؟! وهل الموت نهاية ؟؟

قال : الموت ، الحياة ؟؟ لا يوجد أي فاصل بينهما ،

تتربى الحياة في وعاء ، ومن الوعاء نخرج فننتهي كما

ينتهي الوعاء ..!! اننا لا نستطيع أن نقول : هذه حياة ، وهذا

موت ، يدخل الموت في الحياة.

قالت : وتتربى الحياة في الموت ..

قال : تتربى الحياة في الموت ولكن الى أجل غير مسمى ..

قالت : لم أفهم ..

قال : تموت الحياة ولكن ليس في نفس الوقت الذي تلد

فيه كأنها الحي الا في حالات قليلة ..

قالت : أشعر بالتعب والنعاس ..

قال : تصبحين على حياة جديدة ..

قالت : وهذه ؟؟ واليوم ؟؟

قال : اليوم مات ، مات النور رحل نحو الظلمة ..

قالت : وهل نحن الذين نقتل الحياة ؟؟

قال : أجل! يوماً بعد يوم نقتل ما نعيشه ..

مات الكثير من السنوات في الرحلة .. الرحلة اللغز ..

وملك ينشد ربه حاجته ..

« ربّي هب لي من لدنك وليا يجدد العظم يرى بعض

نورك » ..

وأحسّته رضوى فاكتأبت ..

وذات يوم قالت :

- أنا عاجزة يا ملك ..

قال : لست أنت انه الله ..

قالت : وهل يعجز الله عن خلق الحياة في ..؟؟
 قال : الله لا يعجز ومع ذلك إرادته ..
 قالت : إرادته أن تتعطل الحياة في رحمي ..
 قال : إنها لا تتعطل تسير بمشيئته ..
 شدت على يده في حنو وقالت ..
 - ابيض شعرك ولم أهبك البديل ..
 قال : إنه النزول ..

قالت : ولكن ، لا يوجد أي حد فاصل في هذا الشعر
 الحبيب ، تداخلت الالوان اختلط الأبيض بالأسود كما اختلط
 الأبيض بالأسود في رأسي أيضا لا أدري متى أو كيف ورغم
 ذلك لم أثر ..

ARCHIVE
<http://Archivebeta.Sakr.it.com>

يحتضنها ملك في حنو

بكت وقالت :

- ناقصة ، أنا امرأة عاقر.

قال : ربما أنا ..

قالت : أنا الوعاء ..

قال : قد يزرع الموت في الحياة أيضا ..

قالت : كيف ؟؟

قال : معادلة.

قالت : وهل يجب أن أكون طرفا في هذه المعادلة ..

قال : كلنا طرف في معادلة معينة بطريقة أو بأخرى
لأن الله يريد ذلك..

قالت : لماذا الحياة إذن ؟؟

« ربي هب لي من لدنك وليا يجدد العظم يرى بعض
نورك »..

وأخذته غاشية ظل بعدها مبهور الأنفاس. وبرق برق ،
وخسف قمر ، وسطع نجم ، وخرج الحي من الحي ..
ودخلا مرحلة جديدة . فكان الحمل وكان الوضع وكان
عطاء الرب ..

وأطلقت الحياة نفسها في ذلك الجسد الوردي ، وامتد
يحبو في الأرض ودب فوقها ..
وبدأت الحياة تنزع عن ملك ورضوى القوة وتعطيها
لطفلهما، وبدأ التحول واختلف المسار.

كان يرفرف حولهما يضيف بهجة على الخميلة .
ومرة ، أمسكت رضوى بذراع ملك..

- ملك .. يا ملك !!

قال : مالك ؟؟

قالت : انظر ؛ أرى طيفا يحوم حول ولدي ..

قال : ملكه الحارس ..

شدت على يده بقوة ..

قالت : الملك الحارس لا يفزع ولا يخيف ..

وأسرعت إلى ولدها تحضنه بقوة

- إنه لي .. لي يا ملك إنه حياتي .. وأنا أريد حياتي..

اسودت الظلمات والنور ورضوى وملك يخافان الطيف والولد بينهما يحرسانه في خوف حتى أنهكهما السهر الطويل والحراسة المستمرة. وإن أخذت أحدهما غفوة من النوم يفيق مذعورا ليتشبث بالولد ...

اهتزت الارض تحولت حولت أفرزت عظاما نخرة ..

قالت في ذهول :

- هل مشينا فوقها صلفا ؟

قال حزيناً :

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

- كنا نزحف لم نوجعها أبداً.

قالت : وهذا ؟؟ ما هذا ؟؟ ماهذا الذي لا نرى ؟؟

قال : سنة التحول ..

قالت : سنة التحول ؟؟ من أي شيء الى أي شيء ؟ لا

أومن بالتحول لأنه لا يوجد الحد الفاصل بين حالة وحالة ، بين مرحلة ومرحلة. هناك اندماجية ، اندماجية بغيضة يعتمدها الكون والأشياء. ليس هناك خروج ودخول ولا حياة ولا موت ولا بقاء ولا فناء ولا بداية ولا نهاية هناك تواجد وانقراض ، هناك .. هناك أنا وأنت ... ووو ..

احتواها بين ذراعيه ، عانقها مرعوبا .

قال : وعناقى ، عناقى لك ٩٩٩ !

قالت : عناقك .. حمى .. حمى التواجد حمى الجسد المتواجد قبل الانقراض وهذه الحمى زائلة بدورها متحولة فاترة تفرض أجسادا وتزول . تتصعد وتنطفئ . التحول ، التحول يخيفني ، انه نذير شؤم ..

قال : ملحمة تواجد جديدة .

قالت : لماذا التواجد أساسا ..

قال : أو تخافين الانقراض .. ٩٩٩

قالت : وأنت ٩٩٩ أنت ...

وضحكت في سخرية ...

- أنت .. أنا ... الولد ... سخافة ... سخافة أن تسأل

غيرك .. هل تريد أن تنقرض ؟؟ وماذا تفعل أساسا ؟!

لم يعد يرفرف بينهما ، سكن غلبته الداهية ..

سهر ونامت ونام وسهرت . كانت تنظر الى ولدها في

مزن وخوف . تتحسس أطرافه تجوس بأصابع مرتعشة جسده .

تحولت الحمى إلى رعشة تهز أعطافه .

حضنها دافئ وأطراف الولد تبرد دثرته . فركت

الأطراف في محاولة بائسة . الطفل يبرد . احتضنته في

خوف . سمعت أنه فحشرجة .

نادت بصوت مرتجف :

- ملك !! ملك !!

انتفض ..

ماذا بك ؟!

قالت : مد يدك الى موضع سرّة الطفل ..

وضع يده حيث تضع يدها ..

قالت : رأيت ..

قال : ماذا ؟؟

قالت : أمر ربي .. أمر ربي يخرج باذنه ..

صرخ ملك : الروح ..؟؟

- الروح مؤشر التواجد ..

قال منزعجا : لا أستطيع ..

<http://Archivebaja.Sakhril.com>

قالت : بل تستطيع ، مد يدك .

قال : ولكن ؟؟ تعود إنها تعود ..

قالت : إنها تتردد .. تتردد وسوف تخرج هذه المرة

بقوة.

وخرجت شهقة مزقت صدر ملك ورضوى عمد بعدها

جسد الولد وانكفا كل منهما فوقه يعتول.

وسقطا ، ناما نوما استغرقهما بضعة أيام ، فالسهر أخذ

منهما مأخذا.

استفاقا على رائحة عطنة ..

نظر في وجهها ثم راح يحفر الارض ..

قالت : ماذا تفعل ؟؟

قال : الولد عطن ..

قالت : الانسان عطن قبل موته وبعده ، لن أترب ولدي ..

قال : ماذا تقولين ؟؟

قالت : لن أترب ولدي ..

قال : هل جننت ؟؟

قالت : كنت ، أما الآن فأنا أعقل ما أقول ..

قال : وهذه الرائحة العطنة ..

قالت : لكل انقراض رائحة .. قعامة .. حيوان .. إنسان ..

قال : يا لهول ما تفكرين وتقولين .. دعينا نحمي الجسد

بالتراب ، لن نأمن عليه من الجوارح ..

قالت : لن نأمن عليه من الدود أيضا .

قال : تخالفين الطقوس ..

قالت : طقوس .. ؟؟ كلمة صغير في موكب كبير ، لا

أريد أن أهرب من حقيقة جسدي ولا أريد أن أستغني عن هذه

القطعة التي خرجت منه ومنها خرجت رائحة العطن ..

انظر ، انتفاخ وزرقة وتخمر وقيح ، وبعدها سوف

يتمزق القيح ويصبح سيولا ، أتذكر تحول الارض ؟ قلت لك

إنه نذير شؤم ، الأرض كانت عطشى . كان بها حمى التواجد
تريد أن تأخذ لتبقى . سيصبح القيق سيولا يا ملك ، بعد أن
تنفلق البطن ويسيل لعاب الإمعاء وتخمج مادتها اللزجة
ويخرج من ذات نفسه دود ينهش بعضه ، يا الجسمي العطن !
يا الجسمي العطن !

نظر إليها ملك في تضرع وقد رفع يده معارضا
- أنت لا ... أنت لا ...

قالت : وهذا ؟ هذا العطن عطني ، هذا العطن عطني ..
شدّها إليه بقوة وأسند رأسها المحموم إلى صدره ..
قال متعبا : عطنك . عطنك ثم ماذا ؟ ؟

قالت : ثم ماذا ؟ ؟ لا شيء .. أنا وأنت وعطننا لا شيء
لا شيء ، تفو ...
<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

نتيلة التباينية

إبراهيم بنسلطان

ذلك القطار .. تلك الأيام

هكذا
في طريقنا إلى المستشفى والسماء رصاص
والشمس تلهب الرؤوس والأسفلت ، نار تحت
الأقدام ورياح الجنوب تلفح الوجوه وسلال في
الأيدي حين مرّ أمامنا القطار الأزرق منساباً كأفعوان يشق
القرية فتوقفنا ليمر بسلام ...

* مساءات السبت :

- تذكرت تلك الأيام السعيدة ونحن تلاميذ ندرس خارج
القرية نلتقي مساءات السبت وقد عقدنا معاً معاهدنا لزيارة
أهلنا في محطة المتلوي الواسعة بأبوابها الكبيرة التي نصل
لونها الأخضر ورصيفها العابس وحانتها الضيقة المتجهة
وتمثال « فليب توماس » مكتشف الفسفاط يرقبها برأسه
المهشم عبر شجيرات « سالف رومية » :

- ما كان ينبغي تهشيم هذا التمثال !

- إنه أحد وجوه الاستعمار .

نلتقي فنتبادل الطرائف وتتعالى الضحكات ، تجوع
البطون فتمتد الأيدي العامرة نقوداً إلى الباعة ليلتهم
أصحابها بيضاً و « كسكروتات » لذيدة.

يحين موعد انطلاق القطار فنسارع إلى العربات
نتدافع مع بقية الركاب بالمناكب والأمتعة نتسلق درجاتها
العالية حاملين حقائب وغيرنا قفافا وعراجين تمر وأكياس
بصل ودجاجا وقوارير ،، نتزاحم للظفر بمكان ، ترتفع الجلبة
والنداءات :

- تعال يا الهادي ! تعالى يا الصافية ! أين أنت يا .. ؟
- ناولني الطفل ، أين الصندوق ؟ أين أبي ؟ أين
أمي ؟ ..

ويتخير البعض مكانا قبل بلوغ الأنفاق السبعة حيث
تحدث أشياء وأشياء تحت جنح الظلام إذ كانت الفوانيس
معطبة باستمرار . ترتفع الشكوى :

- لن ينطلق حتى تحضر العربات المشحونة فسقاطا .
- .. حتى يأتي القطار القادم من صفاقس أو الجريد .
- هذه حالة في الصباحات كما في المساءات .
- اعتدنا البطء وإن انطلق في مواعده فتلك عجيبة !
- لولا الفسفاط لما قرئ لنا اعتبار .

* عربات «الوستارن» :

يصفر رئيس المحطة ثم يلوح بمصباحه المتعدد الألوان
فينطلق «الدماغ» ساحبا خلفه حبل عربات وفي ذيله
عربتين خشبيتين أو ثلاثا تركب إحداها فيصدم أنفك عند

دخولها مزيج من روائح العرق واللوح الندي والتبغ والخمر
وعطور رخيصة فنتساءل ساخرين :

أجلبت هذه العربات من غرب أمريكا بعد صراع
استعملت فيه المسدسات والبنادق إذ كنا مولعين بأشرطة
رعاة البقر التي تعرض بسينما القرية فيود الواحد منا لو
تمنطق بحزام خراطيش وعلى جانبه يتدلى مسدسان ومشى
داخل العربة مختالا مستعدا لكل طارئ ليسحبهما بخفة
ويضغط على الزناد فيردي خصمه قتيلا. وخصمنا كان
البطء، كان الانتظار ، كان ..

في قطارنا مقاعد وثيرة لمن لهم في القرية شأن ومن
جيبه منتفخ. ولبقية الركاب مقاعد لوح باردة ،، الناعمات
البشرة للناعمين وللأجلاف الغلاظ الصبر وعض اللوح
والغناء بصوت محزون :

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

يا ناري على روعي * ويا نار روعي عليّ

نؤلف مجموعات هنا وهناك نتناوب الغناء والحكايا
عن الدراسة ونستعرض معدلاتنا الدراسية ونتائج فريق
البلدة الرياضي . هذا يناصر فريقا من الشمال وذا فريقا من
الجنوب أو الساحل وتتحول العربة إلى مدرج :

بالروح بالدم * نفديك يا الهلال

ونظل هكذا حتى تبج الأصوات وينفذ رصيد الحكايات.

يرافقنا أحيانا بعض الوافدين الجدد على القرية
فيسألوننا عنها فنحدثهم عن المنجم ومعاينة الأهل وأن

الداموس لم يكن أبدا جنة.

يطوف «القهواجي» بالعربة حاملا بيد سطلا ثقيلا
وبالأخرى برادا أزرق كبيرا مشدودا بسلك حديد إلى كانون
فحم هاتفا : فازوز ، شاي ، قهوة ..

* حالة استنفار :

تبتعد البناءات ويقترب الجبل ،، يبلغ الأنفاق فتتمدد
الأيدي في الظلام تجس نبضا ، تصافح ، تخمش ، تجوس ،
هضابا وروابي وسنابل صيف .. ويرتفع الصراخ وترى
زوجا متنمرا مستعدا لرد كل معتد ، وقد أشعل عود ثقاب أو
أمسك مصباح جيب . وأما توفزت لصد كل دان منها أو من
أبنيتها وعجوزا تأهبت لحماية متاعها وذينك انفرادا في ذلك
الركن يظللها الظلام يزقها وتزقه ...

تنظر إلى أعلى الجبل عند مغادرة الأنفاق في صباحات
الصحو ومساءات الصيف فتلاحظ نباتات برية تتوج قمته
وفي سفحه نخيلات متناثرة ومغارات حفرها الأوائل عند
بحثهم عن الفسفاط ، يتقدم بين الجبال فيشير البعض عبر
النافذة إلى ذلك المكان الذي هاجم فيه جمع من الغاضبين
قطار المستعمر فقتلوا راكبيه واستولوا على ما فيه من
أموال ..

وترى في الصباحات الماطرة عمالا يجهزون السكة وهم
يرتدون معاطف جلدية صفراء ، نحبيهم فيبادلوننا التحية
باسمين ،، ويفاجؤك خرير المياه في « واد التبان » الذي
لوثته مفاصل الفسفاط في السنين الأخيرة .. نبلغ « رؤوس

العيون « فتعترضنا بعد جفاف الجبال الكالحة بساتين خضراء وفلاحون قد انحنوا عليها يعانقونها ..

* القارورة :

ذات مساء صيف والقطار يغادر المحطة ، جلب أحد الأصدقاء شخصا نحيفا وحشره بيننا و ما أن جلس حتى أخرج من تحت ثوبه الأزرق قارورة حمراء ووضعها تحت المقعد وكلما لاحظ أو توهم غفلة من الركاب مد إليها يده وعب منها جرعات وإذا افترض أمره أو أحدثت القارورة صوتا أعادها إلى مكانها بيد ووضع الأخرى على جبينه متظاهرا بالخل قائلًا :

- « ربّاني لا تفضحاني » .

وكان يجلس قبالة شيخ وقور ، تأفف ، زفر ، التفت يمينًا وشمالًا ، تعوذ ، حوّل .. حين تعتته الخمرة ، رفع القارورة جهارًا وخاطبه :

- سيدي الشيخ ، أتريد جرعة ؟

زمر الشيخ وهدده بعكازه ، هداًنا من ثورته ودعونا النحيف إلى أن يلزم حدوده لكنه واصل بعد ذلك هاذيا متوددا :

- سيدي الشيخ ، ما رأيك لو نزوجك فتاة من المعهد ، تفور صحة وشبابا ، تنهي معها بقية أيامك ؟!

- ماذا يريد مني هذا السكير ؟ اللعنة عليه ..

وهب واقفا رافعا عكازه ليهوي به على رأسه فتدخل

الركاب وكثر الهرج والمرج والدفع والجذب ، انقلبت
القارورة ، انسكب السائل واندفع خط أحمر طويل تحت
المقاعد ، علت القهقهات ، هتف :

- « رباني لا تفضحاني ! »..

* تلك الليلة :

جلست تلميذات على أحد المقاعد الطويلة بشوشات
فرحات بالعودة إلى أسرهن ، اقترب القطار من النفق ، دنا
من خلفهن بعض الشبان ، بلغ النفق ، تكثف الظلام ، امتدت
الأيدي فامتد حبل الصراخ عاليا ، تناوبوا اللمس ، ازداد
الصراخ ، كثر اللفظ واشتد العض والصفع ، قيل جذبت
شعور ومزقت رافعات الصدور ، هب الركاب تحت جناح
الظلام ، فر الشبان واصطدموا بالمقاعد ، تعثروا في الأمتعة
المكدسة في الممر.

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

- هذا منكر !

- هذا عيب !

- تصور قريبة لك بينهن يا سافل.

- ستري ..

- يا لشباب هذه الأيام !

* أخبار متفرقة :

- فلانة انتحرت ..

- والد فلان هلك في حادث شغل .

- أضرب العمال لأن سعر الفسفاط ارتفع والأجور ظلت

على حالها.

- وزعت مناشير هذه الأيام والشرطة تبحث عن الفاعلين.

- أولاد فلان أضربوا وأولاد علان كسروا الإضراب.

ويذكر العائدون وسط الأسبوع أن قرارات المحكمة يتواصل نقاشها داخل العربات بين مطلقين ومطلقات ومتخاصمين مع بعضهم أو مع شركة الفسفاط وتكون المشادات وتبادل الشتائم.

* مهمات :

يمضي القطار متمهلاً فتبلغنا مهمات عمال الداموس متناغمة مع صوت العجلات على السكة : « تَكْتَكْ ، هَمْ ، هَمْ ، تَكْتَكْ ، هَمْ ، هَمْ ، هَمْ ، يطول السفر فنتساءل كم عربة مرت على هذه السكة وكم فسفاط أخرج من الأنفاق وشحن إلى بعيد ؟؟

تعصف رياح الشتاء فتهتز النوافذ والأبواب وتنفخ في المعابر والزوايا فيرتجف الركاب وقد أحكموا التدثر ويشتد السعال .

- يا لهذا الشتاء القاسي !

نبلغ المحطة فتسبقنا « الحمر الهزيلة » والعربات المجرورة.

- « حمّال ، حمّال ، يا من تريد حمّال »

نصل إلى القرية في آخر الليل فإذا بها هامدة ، لا يشق سكونها غير أصوات محركات المنجم التي لا تكل أبدا . أو

في أماسي الصيف وعصافير تعود إلى أوكارها مزقزقة وقد
اصطبغت أجنحتها بأشعة أرجوانية والشمس تختفي خلف
الجبال على مهل.

يعترضنا - ونحن ننزل - شرطي يصدق فينا وفي
الأمته فيهمس البعض :

- جاء للبحث عن قوارير الخمر لحجزها.
- بل للقبض على تجار الرقيق الأبيض.
- قيل لأشياء أخرى خطيرة بعد أن وزعت مناشير في
المدة الأخيرة.

* الحزون الوردى :

كان جميلاً قطارنا تلك الأيام !
.. مذ نافسته الحافلة ترك مكانه لقطار سريع وفصل
عن عربات شحن الفسفاط ثم زوق حتى صار شبيها بعربات
السرك ودعوه « الحزون الوردى » وخصص لسواح قادمين
من بلاد الثلج للتمتع بجمال جبالنا وأنفاقها التي شقت
تحت أوامر أجدادهم للعبور نحو بقية جبال الجهة لنهب
مدخراتها.

مر القطار الأزرق سريعاً فعبرنا السكة نحو المستشفى
لزيارة صديقنا الجريح.

إبراهيم بنسلطان

فازت بالجائزة الأولى للمسابقة الأدبية
لمهرجان الفسفاط « بالرديف » صيف 89